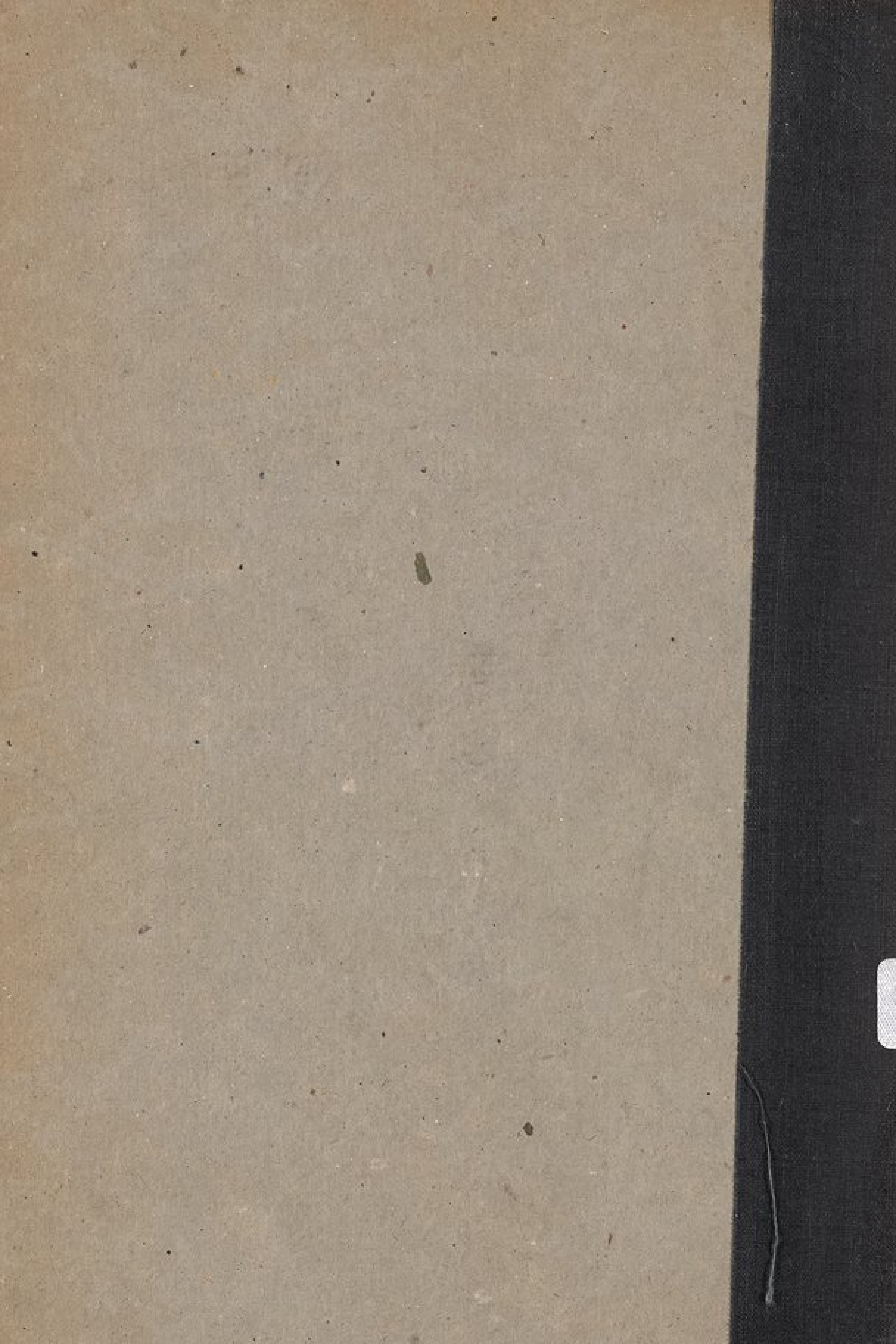
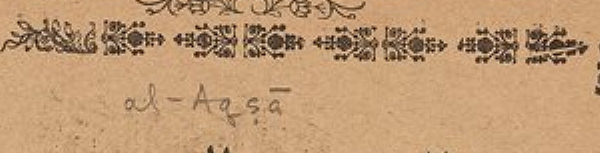



Princeton University Library
32101 080194309





الاقصى القريب

﴿ في علم البيان ﴾

تأليف

الامام زين الدين أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن
عمرو التنوخى أحد أعيان المائة السابعة للهجرة النبوية

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٧ هجرية

يباع فى محل السيد محمد أمين الخانجى الكتبي وشركاه
بمصر والاستانة

صحح على نسخة قرأها العلامة عز الدين ابو عبد الله محمد
الاميوطى على مصنفه سنة ٦٩٢ هجرية وعليها أجازة
المصنف له بخط أخيه العلامة عبد المجيد التنوخى

(طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنان • مفيض الفضل والاحسان • الذى خلق الانسان وعلمه البيان . وأبدع فى جوارحه خلق اللسان • وجعله لماشرفه به من العقل خير ترجمان • وميز يديه بالبنان • فكان آلة القلب فى إحكام العمليات والاتقان • واستخلفه على مافى الارض من جماد ونبات وحيوان • فتصرف على ضعفه فى الحجارة والحديد وكل ذى بطش وأيد شديد فى الاكوان فتعالى الله الذى اذا أراد شيئاً قال له كن فكان • نحمده على ما ألهم من الفهم والتبيين • ونزل علينا من الكتاب المبين • ومنحنا به من الخلق القويم والتزيين • ونصلى على محمد نبيه ورسوله خاتم النبيين • وعلى آله الطاهرين وأصحابه البررة المنتخبين [١] والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين

﴿ وبعد ﴾ فانى ألفت هذا المختصر فى علم البيان اجابة لسؤال من سأله • ورعاية لما شرفه الله به من طلب العلم وفضله • متوخياً أن يكون كما رجاه وأمله . مبنياً على تحقيق المعانى وتبيينها والاختصار مبتدئاً فيه بما يجب تقديمه من القواعد المنطقية • ومعانى الادوات العربية • فقلت وبالله أعتضد وعليه أعتمد

العلم ،، حقيقة ماجزم به العقل ولم يعارضه احتمال الضد •• فان عارضه احتمال ضعيف كان ظناً ويطلق عليه اسم العلم مجازاً •• وان ساواه المعارض كان شكا وان قوى عليه كان وهماً

والعلم — ينقسم الى تصور وتصديق

فالتصور — ادراك الماهية من غير حكم كعلم الانسان بنفسه وبالسماء والارض من غير أن يحكم عليها باثبات أو نفى

---

(١) وقعت فى الاصل مهملة من النقط فيحتمل ان تكون جيما وان تكون خاء اهـ

والتصديق ـ ان يحكم على ما تصوره بثبوت شئ له أو انتفاء شئ عنه كعلمه بانه موجود وليس معدوماً . وان السماء مرتفعة ومتحركة . وان ليست الارض متحركة ويسمى المحكوم عليه موضوعاً . والمحكوم به محمولا . والنسبة بينهما رابطة . والمجموع قضية . وذلك فى اصطلاح النحاة المبتدإ والخبر .. ولا تفتقر الرابطة الى لفظ . وقد عبر عنها علماء المنطق بيكون أو هو فقالوا زيد يكون عالماً وليس يكون عالماً ـ هذا اصطلاح أبى نصر الفارابى وأقام المتأخرون مقام يكون ـ هو ـ الذى يسميه البصريون من النحاة الفصل والكوفيون العماد . والرابطة ان تقدمت على حرف السلب كانت ملفوظاً بها أو منوية فالقضية موجبة معدولة . وان تأخرت كانت سالبة بسيطة لأن السلب يصح عن الثابت وغير الثابت والاثبات لا يكون الا للثابت . واذا كررت السلب فى القضية كانت سالبة معدولة وهى أيضاً أعم من الموجبة المحصلة والمحصل ما ليس بمعدول .. وان اقترن بالقضية مايعلق حكمها بقضية ثانية لزوماً أو عناداً أخرجت عن كونها قضية حتى تذكر القضية الثانية ايجاباً أو سلباً فيكون المجموع قضية شرطية وتسمى الاولى لزومية والثانية عنادية ـ مثال اللزومية ـ ان جاء زيد ذهب عمرو . ومثال العنادية ـ إما أن يجئ زيد أو يذهب عمرو .. وتكون الشرطية اللزومية حقيقية اللزوم نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود . وقد تكون غير لزومية وتجرى مجرى اللزومية توكيداً لذلك الأمر ـ كقول القائل ـ ان نلتُ كذا فعلت كذا وان ملكتُ كذا تصدقت بكذا .. وقد تجئ فى كلام العرب اتفاقية كقول الشاعر

إن كنتَ رِيحاً فقَدْ لاقيتَ إعصَارا أو كنت بحراً فقد لاقيت تيّارا

وتكون العنادية حقيقية مانعة للجمع والخلو وذلك اذا كان جزءاها نقيضين أو مساويين للنقيضين نحو إما أن تكون الشمس طالعة وإما أن يكون الليل موجوداً .. وقد تكون مانعة للجمع دون الخلو نحو إما أن يكون العدد زوجا وإما أن يكون خمسة وذلك اذا كان أحد جزأيها أخص من نقيض الثانى . فان كان أعم فهى المانعة للخلو دون الجمع نحو إما أن يكون العدد زوجا وإما أن لا يكون أربعة

ومادة الحمل ضرورية وممكنة والضرورية هى التى يستحيل عدمها ان كانت موجبة

ووجودها ان كانت سالبة .. والممكنة هى التى لايستحيل عدمها ولا وجودها ويصدق فى مادة الامكان السلب والايجاب ..وتنقسم الممكنة الى وجودية دائمة الوجود وغير دائمة الوجود والى عدمية دائمة العدم وغير دائمة العدم ـ مثال الضرورية ـ كل انسان ناطق ولا شئ من الانسان بحجر لايصدق سلب الناطقية عن الانسان بوجه ولا اثبات الحجرية للانسان بوجه ـ ومثال الممكنة ـ كل انسان كاتب بالامكان ويصدق معها لاشئ من الانسان كاتب بالامكان وكل واحدة منهما ليست دائمة الوجود ولا دائمة العدم ـ ومثال الدائمة الوجود ـ كل زنجى أسود ـ ومثال الدائمة العدم ـ بعض الزنجى ليس أسود بالامكان .. وبمثل مافصلنا فى الحملية فلنفصل فى كل واحدة من الشرطيتين اللزومية والعنادية ومادة القضية لا تتغير تلفظت بها أم لم تتلفظ .. واللفظ بالمادة أو مايتضمنها يسمى جهة وتتفرع الجهات الى خمس عشرة جهة ولا حاجة بنا الى تفصيلها ولا بأس بعددها . وهى الضرورية المطلقة . والضرورية المشروطة العامة والضرورية المشروطة الخاصة . والضرورية الوقتية . والضرورية المنتشرة . والوجودية الدائمة . والوجودية العرفية العامة . والوجودية العرفية الخاصة . والوجودية اللا ضرورية . والوجودية اللا دائمة . والمطلقة العامة . والممكنة العامة . والممكنة الخاصة . والممكنة الاخصية . والممكنة الاستقبالية .. وأكثرها عموماً الممكنة العامة . ثم الممكنة الخاصة والمطلقة العامة اذ لا يخرج عن المطلقة العامة الا الممكنة الدائمة العدم ولا يخرج عن الممكنة الخاصة الا الضرورية المطلقة ثم الممكنة الأخصية ثم الضرورية ثم المشروطة العامة والعرفية العامة والوجودية اللا ضرورية الثلاثة سواء فى العموم اذ تشتمل كل واحدة منها على قضيتين .. وما بقى من القضايا الخمس عشرة وهى الضرورية المطلقة والمشروطة الخاصة والدائمة والعرفية الخاصة والوجودية اللا دائمة والضرورية الوقتية والضرورية المنتشرة بسائط اذ تدخل كل واحدة منها تحت العام وليس تحت واحدة منها قضية أخرى وهى التى اقتسمت المواد .. والدائمة يحتمل لفظها الدوام مع الضرورة والدوام من غير ضرورة لكنها فى اصطلاحهم الدائمة اللا ضرورية ولم تستعمل عامة لانهم قسموا المطلقة العامة الى ضرورية ولا ضرورية واللاضرورية

الى دائمة ولا دائمة فلزم أن تكون الدائمة لاضرورية والا لم تكن من أقسامها .. ولو قسمت المطلقة العامة أولا الى دائمة ولا دائمة كانت الدائمة حينئذ تحتمل الضرورية واللا ضرورية ويتشعب هذا التقسيم ويطول الكلام فيه فابتدؤا بقسمها الى الضرورية واللا ضرورية ايثاراً للاختصار وحسن الترتيب .. والممكنة الاستقبالية تعم فى الاستقبال ما تعمه الممكنة الخاصة . وقد يكون المكرر فى العنادية جزء القضية نحو جاء إما زيد وإما عمرو . والعدل يكون فى المفرد وفى القضية . والعدل فى المفرد اقترانه بحرف السلب نحو قولك فى رجل لارجلَ ويكون نقيض الأصل ومعناه ان وجود كل واحد منهما يستلزم عدم الآخر وعدمه يستلزم وجوده وهو التناقض المفهوم من اللفظ والتناقض المفهوم من المعنى وهو أن يقام مقام المعدول ما يساويه من غير عدل كما اذا أقيم مقام لا حركة سكون ومقام لا متحرك ساكن فيكون الحركة والسكون نقيضين والمتحرك والساكن نقيضين .. والعدل فى القضية أن تكون موجبة تقتضى سلباً أو سالبة تقتضى ايجاباً لكون محمولها معدولا ويقال فى القضيتين متناقضتان اذا لزم من صدق كل واحدة منهما كذب الأخرى ومن كذبها صدقها وهى فى الحملية صدق الحمل وكذبه وفى الشرطية صدق اللزوم والعناد وكذبه . ولا بد أن تكون القضيتان المتناقضتان احداهما جزئية والأخرى كلية فان كانتا كليتين قيل فيهما متقابلتان ولا يجتمعان على الصدق ويجوز اجتماعهما على الكذب وان كانتا جزئيتين قيل فيهما اللتان تحت المتقابلتين ولا يجتمعان على الكذب ويجوز اجتماعهما على الصدق .. وقد يستلزم صدق القضية صدق عكسها المستوى وعكس القضية الحملية المستوى أن يجعل محمولها موضوعاً وموضوعها محمولا مع بقاء الصدق والكيفية وهى الايجاب أو السلب .. وأما عكس النقيض فالحق انه لا يلزم صدقه غير انه لا يكاد يقع الا صادقاً وتنقسم القضية الحملية الى ذات موضوع شخصى وتسمى شخصية والشخصى الذى يمنع نفس تصور معناه من وقوع الشركة فيه كزيد وهذا ـ ومثال القضية الشخصية ـ زيد كاتب وهذا أخوك والى ذات موضوع كلى والكلى ما لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه .. وتنقسم الى مهملة ومحصورة فالمهملة كقولك ـ الانسان كاتب وليس طائراً ـ والمحصورة هي التي يحصرها في

الايجاب كل وبعض والمحصورة بكل تسمى كلية والمحصورة ببعض تسمى جزئية ويحصر السالبة الكلية لا شئ ولا واحد ويحصر الجزئية بعض مع تقديم حرف السلب وتأخيره وليس كل .. وأمثلتها الموجبة الكلية ـ كل انسان كاتب ـ والسالبة الكلية ـ لا شئ أو لا واحد من الانسان كاتب ـ والموجبة الجزئية ـ بعض الانسان كاتب ـ والسالبة الجزئية ـ بعض الانسان ليس كاتباً . أو ليس بعض الانسان كاتباً . أو ليس كل انسان كاتباً ـ فالمحصورات أربع موجبة كلية . وموجبة جزئية . وسالبة كلية . وسالبة جزئية . والموجبة الكلية والجزئية تنعكسان موجبة جزئية والسالبة الكلية تنعكس سالبة كلية ولا عكس للسالبة الجزئية وعكس الموجبة المهملة ومعنى المهملة احتمال الكلية والجزئية موجبة جزئية ولا عكس للسالبة المهملة لاحتمال كونها جزئية .. وعكس الموجبة الشخصية ان كان محمولها أعم من موضوعها موجبة جزئية وان كان محمولها مساوياً لموضوعها انعكست كنفسها موجبة شخصية .. والشخصية السالبة ان كان محمولها كلياً انعكست سالبة كلية وان كان محمولها شخصياً انعكست كنفسها شخصية .. أمثلة ذلك ـ الانسان ماش ـ عكسها ـ بعض الماشى انسان ـ زيد كاتب ـ عكسها ـ بعض الكاتب زيد زيد أبو عبد الله ـ عكسها ـ أبو عبد الله زيد زيد ليس كاتباً عكسها ـ لا شئ من الكاتب زيد . زيد ليس هذا ـ عكسها ـ هذا ليس زيداً .. وقد أوردت هذا مجملا غير مبرهن فليتسلم مصادرة ومن أراد تفصيله وتحقيقه فليأخذه من موضعه أعنى المنطق وهذا سبيل كل ما أورده مقدمة لما أنا بصدده من علم البيان مع ان صاحب الذهن السليم يمكنه أن يصل الى تفصيل ما أذكره وتحقيقه اذا تصور ما ذكرته

ونظير القضية فى اصطلاح أهل النحو ـ الجملة ـ والفرق بين اصطلاح أهل النحو وأهل المنطق ان أهل المنطق يتكلمون على المعانى مستتبعة للألفاظ وأهل النحو يتكلمون على الألفاظ مستتبعة للمعانى والجملة أعم من القضية لان الجملة منها ما يحتمل الصدق والكذب ومنها ما لا يحتمله وهى الجمل الطلبية والانشائية والقضية لا تخرج عما يحتمل الصدق والكذب والذى يحتمل الصدق والكذب انما هو اللفظ الدال عليها .. والمفردات التى منها أجزاء القضايا وتركبها يقسمها أهل المنطق الى اسم وكلمة وأداة

٠٠ والمفردات التى منها تتركب الجمل يقسمها أهل النحو الى اسم وفعل وحرف ـ والاسم ـ فى اصطلاح أهل النحو أعم من الاسم فى اصطلاح أهل المنطق اذ ينطلق على المتمكن وغير المتمكن وغير المتمكن فى اصطلاح أهل المنطق من قسم الأداة ولذلك تكون الأداة أعم من الحرف والفعل أعم من الكلمة إذ يقع على مالا يتصرف ـ كليس ـ التى هى من قسم الأداة ٠٠ واذ قد ذكرنا ما أردناه من المنطق فلنشرع فى عدد الحروف وما أشبهها من الأسماء والأفعال وتضمن معناها

فمن الحروف إنَّ ٠ وأنَّ ٠ وكأنَّ ٠ ولكنَّ ٠ وليت ٠ ولعلَّ ٠ وكلها تدخل على ما صورته مبتدأ وخبر فتنصب المبتدأ وترفع الخبر ومعناهما بعد إن وأن ولكن معنى المبتدأ والخبر وهما بعد كأن مشبهٌ ومشبه به وبعد ليت متمنىً له ومتمنى وبعد لعل مترجى له ومترجى ويشبه أن يكون الرجاء متعلقاً بالاثنين تعلقاً واحداً وهما أقرب شبهاً بالمبتدإ والخبر منهما بعد ليت ٠٠ ومعنى ـ إنّ ـ التحقيق وتوكيد الخبر المفهوم من اسمها وخبرها ٠٠ ومعنى ـ أنَّ ـ كمعناها من التحقيق والتوكيد والفرق بينهما أن أن واسمها وخبرها فى تأويل مصدر وليست إن كذلك وهى بعد لو أيضاً فى تأويل المصدر مقدر قبله وجد وهو مفعوله القائم مقام الفاعل ومثاله ـ لو أن زيداً يحبك لأحببتك ـ المعنى لو وجدَ حب زيد لك فلم تخرج عن القاعدة وهى بعد لولا فى تأويل مصدر هو الاسم المبتدأ بعد لولا المحذوف خبره للعلم به والملفوظ به خبراً عن اسم أن وحيث يخبر عن الاسم المبتدإ بعد لولا يكون المبتدا وخبره فى معنى ان واسمها وخبرها والمجموع المبتدأُ المحذوف خبره وهذا البحث مما وقع لى ولم أنقله عن أحد فمن رأى فيه خللا فليصلحه ان أمكنه أو وجد عليه إيراداً فليذكره ٠٠ ومعنى ـ كأن ـ التشبيه فاسمها مشبه وخبرها مشبه به فاسمها وخبرها يشبهان المبتدا والخبر فى الصورة فقط لا فى المعنى ٠٠ ومعنى ـ لكن ـ الاستدراك فلا تقع الا بعد جملة أخرى نحو قولك ما قام زيد لكن عمراً قائم ٠٠ ومعنى ـ ليت ـ التمنى وخبرها المتمنى واسمها المتمنى له ٠٠ ومعنى ـ لعل ـ الترجى والفرق بين التمنى والترجى ان المتمنى يكون معشوقاً للنفس والمرجو قد لا يكون كذلك ويكون المرجو متوقعاً والمتمنى قد لا يكون كذلك فالترجى أعم من

التمنى من وجه والتمنى أعم من الترجى من وجه والمرجو فى لعل حصول خبرها لاسمها وقد يكون حصول اسمها لخبرها وقد يكون حصول الجملة من اسمها وخبرها .. وتجىء لعل للاشفاق والتعليل والاستفهام مع بقاء معنى الترجى .. وتدخل ما الزائدة على هذه الحروف فتكفها عن العمل إلا ليت وفى كفها لليت وجهان وقد جوّز بعضهم ابقاء العمل مع ما فى غير ليت قياساً عليها وتفيد فى إنّ وأنّ معنى الحصر وفى باقى أخواتها معنى التوكيد وقد ينتصب المتمنى والمتمنى له بليت لشدة شبهها بالأفعال ويقاس عليها أخواتها على رأى

ومنها حرف الشرط وهو إنْ وما ينتظم فى سلكه نحو لمّا وهى عند سيبويه حرف وجوب لوجوب .. وقال المتأخرون انها ظرف لتوهمهم دلالتها على الزمان وليس بشىء إذ الزمانُ مستلزمٌ للفعل الذى اقترنت به ولادلالة لها عليه لالفظاً ولامعنىً انما هى حرف وجوب لوجوب تقول ـ لما قام زيد قام عمرو ـ دلت على وجوب قيام عمرو لوجوب قيام زيد والزمان دل عليه قام زيد فلا حاجة اليها فى الدلالة عليه ولا فى لفظها مايدل على شىء من ذلك فما الذى دلنا على انها دلت على الزمان وأن يكون الشرط بعدها والجواب مستقبلين وان كان لفظهما ماضياً .. ومن المنتظم فى سلك حرف الشرط لَوْ . ولَوْلا . اذ تقتضى كل واحدة منهما جملتين تمتنع احداهما لامتناع الأخرى بعد لو وتمتنع احداهما لوجود الأُخرى بعد لولا فكل واحدة منهما شرطية تستلزم احدى الجملتين اللتين تليان كل واحدة منهما امتناع الجملة الاخرى كما استلزمت الجملة التى بعد إنْ وجود الجملة الثانية والجملة التى تلى لولا اسمية يجب حذف الخبر منها ان كان معلوماً وهو الأكثر وقوعاً ويجب أن لا يحذف ان كان مجهولا ولذلك أنكره كثير ممن قصر به الفهم ومنه قول القائلة تنشد وسمعها عمر رضى الله عنه وزوجها غائب عنها فى الجهاد

فوالله لَوْلاَ الله تخشَى عواقِبُهُ ... لزُعزِعَ من هذا السَّرِيرِ جوانِبُهْ
مخافة ربّى والحياء يَصُدُّنى ... وأكرِمُ بَعْلِى أنْ تُنالَ مراكِبُهْ

لما كان امتناعها لخشية الله لا لوجوده وجب ذكر الخشية ولو حذفت لم يفهم الامتناع

لالوجود جرياً على ما كثر فى الباب والدليل عليه عطفها على الخشية غيرها من الموانع فى
قولها ـ مخافة ربى والحياء يصدنى وأكرم بعلى ـ ومن أين كانت تعرف الخشية والحياء
والاكرام التى هى موانعها لو حذف الخبر •• وقد جاء التلفظ بالخبر فيما صح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله لعائشة رضى الله عنها لولا قومك حديثو عهدٍ بالاسلام وجاء
فى معنى إن الشرطية أسماء وهى من • وما • ومهما • وأى • وأين • وأيان • ومتى • وحيثما • واذما
وأنّى • وكل واحد من هذه الأسماء يستدعى جملتين الأُولى منهما فعلية فعلها إما ماض
واما مضارع وتكون الجملة الثانية فعلية كالأُولى موافقة لها فى الفعل ومخالفة •• فان كان
الفعل فى الاولى مضارعاً وفى الثانية مثله وجب جزمهما وان كان الثانى مضارعاً دون
الاول جاز فيه الجزم والرفع على الاستئناف وان اقترن بقد أو السين أو سوف أو لام
التوكيد وجب أن يبتدأ بالفاء ورفعه مع قد والسين وسوف وبناؤه على الفتح لوجوب
اتصاله بنون التوكيد لاقترانه باللام ومهما اقترن الفعل فى جواب الشرط بحرف لا يجوز
أن يقترن به فى الشرط وجب معه الفاء ولم ينجزم لكونه جواب الشرط وان اقترن
بانْ ولَنْ ولمّا كان مجزوماً بها ولم تلزم معها الفاء وقد يكون الجواب جملة اسمية وتلزم معها
الفاء أيضاً •• ومما فيه معنى الشرط من الأسماء ـ اذا ـ وهى ظرف لما يستقبل من الزمان ولا
يجزم بها الا فى الضرورة •• ومنه ـ كل ـ مقترنة بما وهى مثل إنْ فى كونها تستدعى جملتين
يستلزم وجود احداها الأُخرى فى المستقبل الا أن كلما تقتضى التكرار وإنْ تقتضى
مرة واحدة تقول كلما قام زيد قام عمرو فمعناه ان قيام زيد فى كل مرة يوجد واذا قلت
إن قام زيد قام عمرو استلزم فى المرة الأُولى ولم يستلزم فى مرة ثانية وكلما لا تجزم إذ لا
يقع بعدها الفعل المضارع وأسماء الشرط فى التكرار كـكلما وفى العمل كإنْ •• ويلتحق
بان فى الجزم ـ لَمْ ولمّا ـ وهما يردّان المضارع فى معنى الماضى وهما يبقيان ما مضى الا أن لمّا
تستلزم النفى بها الى حين الاخبار ولا يلزم ذلك فى لم •• ومنها ـ لام الأمر • ولا فى
النهى ـ ولام الأمر مكسورة وتسكن مع الواو والفاء وثم وتدخل الفاء فى خبر الذى
وما فى معناها لابهامه

ومن الحروف النواصب للفعل •• وهي ـ ان ـ وهي والذي تنصبه في تأويل مصدر محكوم عليه بوجوه الاعراب وتنصب الفعل ظاهرة ومضمرة وقيل انها زائدة بعد لما نحو قولك لما ان جاء زيد أكرمته ولا يلزم أن تكون ههنا زائدة لاحتمال أن يكون المعنى لما وجد مجيئه أكرمته فتكون وجد مضمرة وأن على أصلها ـ ولن ـ وهي تنصب الفعل المستقبل نافية له وقيل تنفيه على التأبيد ـ وكي ـ ومعناها التعليل وقيل تنصب بنفسها وقيل الناصب ان مضمرة بعدها ودليل كونها ناصبة كأن دخول لام الجر عليها في قوله تعالى لـكيلا ودليل كونها حرف جر بمعنى اللام قولهم كيمه بمعـنى لمه ويقوى ذلك حذف ألف ما الاستفهامية ـ واذاً ـ في الجواب ومعناها التقرير والتعليل ويرتفع الفعل بعدها ان لم تكن مصـدرة نحو قولك في جواب من قال سأزورك أنا اذاً أكرمك

ومن الحروف حروف الاستفهام •• وهي الهمزة • وهل • وأم • واذا أتت بعد الهمزة للتسوية أو التي بمعنى أيهما كانت عاطفة وتسمى متصلة واذا لم تأت بعد الهمزة للتسوية تسمى منقطعة وتدل مع الاستفهام على الاضراب •• وقيل ان هل في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً بمعنى قد •• وقد يجمع بين الهمزة وهل في الاستفهام فيقال أهل قام زيد ومعناه تنبيه المستفهم •• وقد يضمن معنى الاستفهام أسماء وهي ـ مَنْ • وما ـ وتختص من بمن يعقل وتطلق على ما لا يعقل بسبب مخالطة من يعقل ـ وأي ـ ولا تستعمل الا مضافة أو مقترنة بما عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالى أيا ما تدعوا ولذلك أعربت دون اخواتها ومعناها طلب تعيين بعض ما أضيفت اليه من اثنين أو أكثر ـ وكيف ـ وهي سؤال عن الحال ولا تقع الا خبراً أو حالا أو مفعولا ثانياً في باب علمت واخواتها ـ وأين ـ استفهام عن المكان وهي من ظروفه ـ ومتى ـ استفهام عن الزمان وهي من ظروفه ـ وأنى ـ وتجيء بمعنى كيف تارة وبمعنى أين أخرى ـ وكم ـ ويستفهم بها عن العدد ويخبر بها عن كثرته فتخرج عن هذا الباب •• وللاستفهام صدر الكلام فيقدم وان كانت رتبته التأخير فيما ليس باستفهام

ومن الحروف حروف التحضيض •• وهي • هلاّ • وألاّ • ولولا • ولوما • وحقيقة معناها اللوم على الترك •• وقريب من معنى حروف التحضيض ـ ألا ـ للعرض نحو الا تنزل

فتضيفك وتقع الا لاستفتاح الكلام ٠٠ ويشبه حرف التحضيض أيضاً ـ كلا ـ للزجر والردع اذ معناها قريب من معنى اللوم

ومن الحروف حروف الايجاب ٠٠ وهى نعم ٠ وَجَيْرِ ٠ بمعناها وانّ بمعناها ومعنى ـ نعم ـ انها توجب المسؤل عنه نفياً كان أو اثباتاً وفى ان مبالغة ما و ـ أجل ـ ولا تستعمل فى جواب الاستفهام ـ وإى ـ ولا تستعمل الا مع القسم وتجىء ـ جير ـ بمعنى حقاً تقول جير لافعلن والاشبه أن تكون ههنا اسما و ـ بلى ـ ولا تستعمل الا فى جواب النفى فترفعه وتثبت وغيرها من حروف الايجاب يقر النفى على حاله

ومن الحروف حروف النداء ٠٠ وهى يا أم الباب ٠ وأيا ٠ وهيا ٠ للبعيد ٠ وأى ٠ والهمزة ٠ للقريب وقد يحذف حرف النداء مع العلم لدلالته عليه ـ ووا ـ ولا تستعمل الا فى الندبة ويجىء فى آخر المندوب ألف غالباً وكثر بعدها هاء السكت ولا يجب أيضاً وتستعمل مع يا لام الاستغاثة مفتوحة للمستغاث به ومكسورة للمستغاث له

ومن الحروف حروف التنبيه ٠٠ وهى ها ٠ والا ٠ وأما ٠ وتحذف الالف من أما فيقال أم والله وتستعمل ها كثيراً مع أسماء الاشارة ولزوماً مع أى فى النداء

ومن الحروف حروف النفى ٠٠ وهى لا ٠ وما ٠ وإنْ ٠ وتقع الثلاثة زوائد ومنها أيضاً لم ٠ ولما ٠ ولن ٠ وقد مضى ذكرها ٠٠ ومن أدوات النفى ـ ليس ـ أخت كان وهى عند أهل النحو فعل ولا يتقدم خبرها عليها على أحد القولين لضعفها عن اخواتها لعدم التصرف وتضمّن معنى الحرف وتحمل ـ ما ـ عليها فى رفع الاسم ونصب الخبر فى لغة أهل الحجاز ولا تعمل فى لغة تميم وهى أعم من ليس فى النفى لانها تنفى الماضى ولا تنفيه ليس وتقصر عن ليس فى العمل فلا يتقدم خبرها على اسمها ويبطل عملها الا الناقضة لنفيها واقترانها بان فى معناها وتحمل ـ لا ـ على ما فيما حملت فيه على ليس وذلك قليل وقلما تسمع الا وخبرها محذوف قال الشاعر

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرانِهَا   فأنا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ

وتحمل أيضاً على إنَّ فتنصب المضافَ والشبيه بالمضاف وهو العامل فيما بعده نحو لا غلام رجل عندنا ولا خيراً من زيد ولا ضارباً أحداً وتبنى النكرة المستغرقة للجنس بعدها

على الفتح ويكون موضعها نصباً وتهمل اذا دخلت على المختص ويجب تكرارها ليكون فيها عموم تما اذ الأصل فى معناها عموم النفى وهى والمبنى معها على الفتح فى معنى اسم واحد هو نقيضه كائناً ليس معها وهو الذى يسميه أهل المنطق المعدول وذلك نحو قولك رجل ولارجل وتزاد لمجرد توكيد النفى نحو قوله تعالى ولا الضالين ـ وان ـ ينفى وأ كثر ماتأتى وبعدها الا الناقضة للنفى وتقترن بما النافية بعدها زائدة على رأى وفى حكم تكرير ما على رأى ويرجح زيادتها هاهنا زيادتها بعد ما الظرفية نحو قولهم ـ ما إن جلس القاضى ـ أى مدة جلوسه

ومن الحروف حروف الاستثناء ٠٠ وهى إلاّ أم الباب ٠ وحاشى ٠ وخلا ٠ وعدا ٠ اذا جُرَّ بها فان نصبتْ كانت أفعالا وتكون أيضاً من أدوات الاستثناء وقلما تجىء خلا وعدا الا ناصبتين ولا تجىء حاشى الاجارة الا فى الشذوذ ٠٠ ومن أدوات الاستثناء ـ لايكون ٠ وليس ـ باقيتين على أصلهما من الفعلية والعمل ٠٠ وعدوا من أدوات الاستثناء ـ لاسيما ـ وليست مخرجة الا الى مبالغة فى الحكم وتقع غير موقع الا ويكون اعرابها اعراب الاسم الواقع بعد إلاّ نصبا على أصل الاستثناء وبدلا من المستثنى ومعمولةً لما يطلبها عند عدم المستثنى منه وتجىء الا بمعنى غير صفة فيعرب ما بعدها باعراب غير وذلك نحو قوله تعالى لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

ومن الحروف حروف الجر ٠٠ منها ـ مِنْ ـ لابتداء الغاية ـ والى ـ لانتهائها وتكون من للتبعيض ولبيان الجنس كقوله تعالى خَلَقَ الانسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفخار وخلق الجانَّ من مارج من نار ٠٠ وتكون زائدة بعد النفى والاستفهام ولا تزاد فى الايجاب عند سيبويه وتزاد عند الاخفش واستدل عليه بقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ولا يصح الاستدلال بهذا لاحتمال كون من للتبعيض فيكون المعنى يغفر لكم شيئاً من ذنوبكم ويحتمل أن يكون لبيان الجنس لان الغفر ستر والستر يكون للذنوب وغير الذنوب مثال زيادتها بعد النفى قوله تعالى وان مِنْ شىء الا يسبح بحمده وبعد الاستفهام فى قوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وتكون للبدل فى مثل قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقول المتلمس

فان تبدلتُ من قومى عدِيَّكم   إنى إذاً لضعيفُ العقلِ مألوسُ

وتقترن بأفعل التفضيل موصلة حكمه الى المفضل عليه فهى للتعدية فقط وتكون ـ الى ـ بمعنى مع نحو قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ولا بد فيها من الدلالة على انتهاء الغاية .. ومنها ـ فى ـ وهى للظرفية حساً ومعنى حساً نحو كنت فى البيت ومعنى نحو نظمت شعراً فى المدح ومنه قوله تعالى فى جذوع النخل .. ومنها ـ اللام ـ ومعناها الاضافة وتكون الاضافة للاختصاص فقط نحو أين زيد وللملك نحو ثوبه وللبعضية نحو يده وتكون اللام للتعليل بمعنى كى وللجحود نحو قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وتكون لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض وتكون لمجرد التعدية نحو قلت له وقيل انها زائدة فى قوله تعالى رُدِفَ لكم ولا يلزم ذلك فيقال ان ردف مثل شكر ونصح فيتعدى تارة بنفسه وتارة باللام ولا تنفك حيث وقعت عن لمح الاضافة .. ومنها ـ الباء ـ ومعناها الالصاق ويكون فيها معنى الاستعانة نحو استعنت بزيد وكتبت بالقلم ومعنى المصاحبة نحو اشتريت الفرس بسرجه ولجامه ومعنى الالصاق لا يفارقها كمعنى الاضافة مع اللام وقالوا تقع زائدة وأظهر ما هى زيادتها فى قوله تعالى وكفى بالله شهيداً ويحتمل معناها كفى الأمر بالله فى حال كونه شهيداً فتكون للاستعانة وحيث وقعت فلا قطع بزيادتها اذ يمكن تخريجها على معنى من معانيها .. ومنها ـ حتى ـ ومعناها انتهاء الغاية الا أن المجرور بها غالباً يكون بعض المغيا وان لم يكن فلا بد أن يكون ملاقياً لآخر المغيا نحو جاء الحجاج حتى المشاة أو حتى باب المدينة ولا يلزم ذلك فى الى والغاية والبداية قد تكونان داخلتين فى المغيا نحو قرأت الكتاب من أوله الى آخره وقد تكونان خارجتين عنه نحو امتلأ الجامع من الحائط الى الحائط وقد تكون احداهما داخلة والاخرى خارجة كما لو قال ملكت الدار من حائطى الى حائط زيد ومن حائط زيد الى حائطى وقد تكون حتى عاطفة نحو أكلت السمكة حتى رأسها وابتدائية نحو قول الشاعر

وما زالتِ القتلى تَمجُّ دماءها   بدجلةَ حتى ماء دجلةَ أشكلُ

فانفكت عن أن تكون جارة ولا تنفك عن أن تكون لانتهاء الغاية وتصح معانيها الثلاثة فى السمكة تقول أكلت السمكة حتى رأسِها وحتى رأسَها وحتى رأسُها ولا يجوز أن

تقول أكلت السمكة حتى نصفها ولا حتى ثلثها للجهالة لا لكون النصف لا يجوز أن يكون غاية اذ لو حدد النصف كما ان الرأس يحدد المجاز .. ومنها - رب - وهى تجر النكرة موصوفة بجملة وتكون للتقليل كثيراً وللتكثير قليلا وليس لها فعل تتعلق به الا ما فى صفة معمولها وقد يقال انه يلزم من ذلك الدور لانها متقدمة على المجرور بها والمجرور بها متقدم على صفته والصفة عاملة فيهما فتكون متقدمة عليهما فتكون متقدمة على نفسها وذلك هو الدور الذى يلزم منه المحال فيقال فى جواب ذلك انك لو قلت رُبَّ رجل ولم تذكر الصفة لم يفد شيئاً فلا عُلْقَة بينهما حتى تذكر الصفة فالصفة متقدمة على العلقة بينهما ومن جهة العلقة عمل فيهما معنى الصفة فلم يعمل شىء منها الا فيما تأخر عنه وقد يكون المجرور بها ضميراً مفسراً بنكرة ولا يعود الى شىء فهو نكرة نحو قولهم ربه رجلا رأيته وتكف بما زائدة فتبطل عملها وتدخل حينئذ على الاسم والفعل ولا تختص بواحد منهما ولا تكون الجملة الموصوف بها الافعلية ولا يكون فعلها الا ماضياً وتضمر بعد الواو وقيل انه لم يسمع الا فى الشعر فقيل انه من الضرورات الا انه كثير فى الشعر جدا وليس فى الضرورات ما كثر كثرة تعد بالنسبة الى كثرته وما أظن العرب كانت تحترز منه فى السعة لكنه ما اتفق ان ينقل وقد جاء اضمارها بعد الفاء وبل قليلا ومنه قول امرىء القيس

* فمِثلكِ حبْلى قدْ طرقتُ ومرْضعٍ *

وأضمرها بعد الواو فى قصيدته هذه فى قوله

* وبيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها *

.. وفى قوله

* وليلٍ كموجِ البحرِ مُرْخٍ سدولَهُ *

واضمارها بعد بل كقول الشاعر

* بل بلدٍ ملءُ الفِجاجِ قَتَمُهْ *

ومنها حروف القسم .. وأمها - الواو - وقال جمهور النحاة انها مبدلة عن الباء الرابطة بين أقسمت والاسم المعظم - والباء - تعمل فى الظاهر والمضمر والواو لا تعمل الا فى

الظاهر ولذلك قيل انها مبدلة منها وعدت الباء من حروف القسم والقسم مع الباء مفهوم من أقسمت والباء هى الرابطة والكثير اظهار فعل القسم مع الباء وهو محذوف فى حكم الظاهر فليست الباء بدلا عنه كالواو وقالوا ان ـ التاء ـ مبدلة عن الواو ولا تدخل الا على الاسم المعظم الذى هو الله وروى الأخفش دخولها على رب الكعبة وتدخل كالتاء على الاسم المعظم ممدودة ومقصورة الهمزة وها والميم مضمومة ومكسورة ويجوز حذف حرف القسم مع الاسم المعظم .. ومن حروف القسم ـ مُنْ ـ مضمومة الميم ومكسورتها ولم يسمع الا فى قولهم مُن ربى انك لأشِر وقيل ان مُن ومِن والميم مأخوذات من أيمن وأيمن اسم هو المقسم به .. ومنه ـ أيمُ الله ـ وتكسر همزته أيضاً وعمر الله كأيمن الله وتدخل عليهما لام التوكيد فيقال ليمن الله ولعمر الله ويضاف عمر الى غير الله مضمراً وظاهراً فيقال لعمرى ولعمرك ولعمر أبيك نحو قول الشاعر

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخـوه لَعَمْرُ أبيكَ الا الفرقدَان

ومنها ـ كاف التشبيه . وعن للمجاوزة . وعلى للاستعلاء . حساً كعلى الفرس وحكما كعليه دين واستوى بشر على العراق وتكون اسماً فى مثل قولهم تَفتَرُّ عن كالبردو من عن يمين الحُبَيَّا وغدت من عليه ويجوز أن يقال هى حروف على أصلها ومعنى قوله تفتر عن كالبرد عن أسنان كالبردو من عن يمين الحبيا من جهة عن يمين الحبيا وغدت من عليه من طريق عليه .. ومنها ـ مذ . ومنذ ـ ومعناهما ابتداء الغاية فى الزمان فان كان الأمر منفياً فى ذلك الزمان نحو مذ يومين ومنذ يوم الجمعة كان اللقاء منفياً الى حين الخبر والأصل فى الاثبات أن يكون بمعنى النفى فى ذلك فاذا قال لقيته مذ يومين ومنذ يوم الجمعة كان اللقاء فى ابتداء الوقت المذكور والظاهر انتفاؤه الى حين الاخبار ويحتمل اللقاء بعد ذلك ولكن يحتاج الى قرينة لظهور ضده عليه وفى النفى يكون استمرار النفى واجباً ووجود اللقاء فى أول المدة ويحتمل عدمه ولا يعلم الا بالقرينة وظهور ضده عليه أيضاً فاذا المفهوم من غير قرينة فى الاثبات والنفى واحد ويجر ما ذكر بعدها من الزمان فتكونان حرفى جر ويرفع فتكونان اسمين معناهما مدة ذلك ويكون موضعهما رفعاً على الابتداء والغالب على منذ أن تكون حرفاً وعلى مذ أن تكون اسما .. ومنها ـ حاشى . وخلا . وعدا ـ وقد

تقدم ذكرها فى الاستثناء وقد جاءت كى جارة فى قولهم كيمه كاللام فى قولهم لمه اذ معناها فى التعليل واحد ٠٠ ومنها ـ مع ـ ساكنة العين ومفتوحتها والأظهر انها اسم فى المعية شبيه بظرفى الزمان والمكان والاسمية فى المفتوحة العين أظهر منها فى ساكنتها ـ ولولا ـ اذا دخلت على ضمير الجر نحو لولاى ولولاك ولولاه حرف جر عند سيبويه وعند بعضهم هى على أصلها وقد أوقع الضمير المجرور موقع المرفوع

ومن الحروف حروف النسق ٠٠ وأمها ـ الواو ـ ومعناها الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه مطلقاً محتملا للتقديم والتأخير والمعية وتعطف المفرد على المفرد والجملة على الجملة متفقتين ومختلفتين تقول قام زيد وعمرو وقام وقعد زيد وزيد فاعل الفعلين على رأى الفراء ولا يتصور عطف الفعل على الفعل لا لكونهما جزئى جملتين الا على هذا الرأى ولو قلت قام زيد وقعد فالمقصود أيضاً عطف الفعل على الفعل لكن لتأخر قعد وجب أن يضمر فيها الفاعل وتقول قام زيد وقعد عمرو وبكر منطلق ويذهب خالد ويعطف فى أنواع الطلب كعطفها فى الخبر ٠٠ ومنها ـ الفاء ٠ وثم ـ وهما فى الجمع كالواو ويختصان بالترتيب وهو أن المعطوف بهما بعد المعطوف عليه وتختص الفاء منهما بالتعقيب والغالب فى استعمال ثم المهلة فتى وردت مطلقة حملت على المهلة الا ان يدل الدليل على عدمها وقد تدل الفاء على التسبيب كقوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول وتأتى فى جواب الشرط اذا كان مما لا يحسن دخول ان الشرطية عليه رابطة بين الشرط وجوابه وتقع فى خبر المبتدأ المبهم لشبه الابهام بالشرط وتعطف الجملة على الجملة استئنافاً للثانية نحو قوله تعالى ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مُدّكِر ٠٠ ومنها ـ أم ـ بعد الاستفهام ومنقطعة وقد مضى ذكرها ٠ ومنها ـ بل ـ ومعناها الاضراب وتأتى بعد النفى والاثبات مثبتاً ما بعدها عاطفة للمفرد على المفرد وللجملة على الجملة تقول ماقام زيد بل عمرو وقام بل قعد زيد وما قام زيد بل قعد عمرو ويكون ما قبلها متروكا لفساده أو للاعراض عنه مع صحته ٠٠ ومنها ـ لا ـ النافية نحو قام زيد لا عمرو فيكون ماقبلها مثبتاً وما بعدها منفياً ٠٠ ومنها ـ أو ـ وتكون فى الخبر للترديد فيكون أحد الأمرين ثابتاً والآخر غير ثابت وتكون لبيان النوع فيكونان ثابتين نحو

الصالح الحسن أو ابن سيرين وهى فى الطاب غير الأمر والنهى كذلك وتكون فى الأمر والنهى للتخيير والاباحة نحو صم أو أفطر وجالس الحسن أو ابن سيرين وفى النهى لاتقم أولا تقعد وفى الاباحة لا تؤذ اليهود أو النصارى •• ومنها ـ حتى ـ وقد مضى ذكرها فى حروف الجر •• ومنها ـ لكن ـ ومعناها الاستدراك ويكون غالباً المعطوف والمعطوف عليه أحدهما موجباً والآخر منفياً وقد يكونان ثابتين كقول الطبيب تغذ بماء الشعير لكن صرّفه بالسكنجبين ••ومنها ـ اما ـ نحو قولك قام إما زيد وإما عمرو وإما زيد قائم وإما عمرو منطلق لان معنى الواو الجمع والمعطوف والمعطوف عليه متردد فيهما أو مخير أو مباح نوعهما كالمعطوف عليه والمعطوف بأو وذلك المفهوم من إما والحق ان العطف للواو وإما لتفصيلها أفادت هذه المعانى وانتفى جمع الواو كانتفاء اطلاقها فى نحو قولهم صام زيد وأفطر لاستحالة الجمع بين الصوم والفطر

ومن الحروف الحروف التى تزاد وتسمى حروف الصلة •• وهى ـ من • والباء • وإن • وأن ـ وقد مضى ذكر كل واحدة فى موضعها ـ وما • ولا ـ وتزاد ان كثيراً فتزاد ـ ما ـ بين المضاف والمضاف اليه كقولك غضبت من غير ما جرم وبين الجار والمجرور فى مثل قوله تعالى فبما رحمة من الله لنتَ لهم وتزاد مع إنَّ واخواتها وتزاد بعد أين ومتى واذ وحيث وتزاد للتقليل فى قولهم لأمر ماجدع قصير أنفه وغير ذلك ـ ولا ـ وتزاد مؤكدة للنفى رافعة للبس نحو ما قام زيد ولا عمرو وفى غير ذلك كثيراً

ومن الحروف حرفا التفسير •• وهما ـ أى • وأن ـ فأى يفسر بها معنى الكلمة المفردة أو معنى الكلام المركب كقولك فى قول امرئ القيس

نَطْعَنُهُمْ سُلكَى ومخلوجةً كفتكِ الأمين على نابلِ (١)

---

(١) هكذا جاء البيت فى أصل الكتاب •• قال كفتك الأمين ثم فسره بقوله أى مثل فعل الذى يجمع النبل للرماة وفى لسان العرب فى مادة س ل ك •• والسلك ادخال شئ تسلكه فيه كما تطعن الطاعن فتسلك الرمح فيه اذا طعنته تلقاء وجهه على سحيجته وأنشد قول امرئ القيس

- سلكى - أى مستقيمة ما بين الصدر والظهر -ومخلوجة - أى من جنب الى جنب وقوله-كفتك الأمين على نابل -أى مثل فعل الذى يجمع النبل للرماة ثم يفرقه عليهم فيأخذ باحدى يديه نبلتين أو ثلاثا وبالأُخرى باقى النبال معترضة عليها ليعرف كل أحد نباله فيأخذها فتكون صورة الرماح فيهم كصورة النبال فى يديه -وأن- ولا تأتى الا بعد القول مفهوماً لا ملفوظاً به أو ما فى معناه كقولك أمرته ان اقعد قال الله تعالى وناديناه أن يا ابراهيمُ قد صدقت الرؤيا وقال تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد أى انطلقوا قائلين امشوا

نطعنهم سلكى ومخلوجة كرَّكَ لأمين على نابل

وروى كرَّ كلامين قال وصفه بسرعة الطعن وشبهه بمن يدفع الريشة الى النبَّال فى السرعة وانما يحتاج اليه فى السرعة والخفة لان الغراء اذا برد لم يلزق فيستعمل حاراً والسلكى الطعنة المستقيمة تلقاء وجهه والمخلوجة التى فى جانب اه وقال فى مادة خ ل ج ابن السكيت يقال فى الأمثال الرأى مخلوجة وليست بسلكى قال قوله مخلوجة أى تصرف مرة كذا ومرة كذا حتى يصح صوابه قال والسلكى المستقيمة وأنشد قول امرئ القيس

نطعنهم سلكى ومخلوجة كرَكِ لأمين على نابل

فضبطها هناك براء مشددة ثم كاف خفيفة مفتوحة وضبطها هنا براء خفيفة وكاف مثقلة مكسورة ثم قال فى تفسيره يقول يذهب الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما .. ورواه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرح ديوان امرئ القيس

* كرِّك لأمين على نابل *

وقال فى شرحه ما نصه قوله سلكى أى طعناً مستوياً وقيل السلكى على القصر امام وجهك والمخلوجة المعوجة عن يمين وشمال وقيل عن ناحية اليمين وناحية الشمال وقوله كرِّك لأمين أى ردك لأمين وهما السهمان على من يرمى يقال اذا ألقيتهما لم يقعا مستويين وربما استوى أحدهما وتعوج الآخر ويقال سهم لأم اذا كان عليه ريشه قال الوزير أبو بكر وحدث الاصمعى عن أبى عمرو قال كنت أسأل منذ ثلاثين سنة عن هذا البيت فلم أجد أحداً يعلمه حتى رأيت اعرابياً بالبادية فسألته عنه ففسره لى وقال العجاج

ومن الحروف ـ قد ـ وهو حرف اذا اقترن بالفعل الماضى دل على قربه من الحال بحسب حال الفعل فان قولك قد أكلت يدل بمفهومه على ان أكلك فى يومك ان بَعُدَ وفى ساعتك إن قرب وقولك قد حججت يدل بمفهومه على ان حجك فى ماضى عمرك ان بعد وفى عامك ان قرب واذا اقترنت بالفعل المضارع دلت على التقليل كقول الشاعر

وحيٍّ ذوى الأضغانِ تَسبِ عُقولَهم   مودَّتكَ القُربى وقدْ يُرقَعُ النَّغِلُ (١)

وربما جاءت للتكثير كقول الشاعر

قَدْ أشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملنى   جرداءُ معروقةُ اللحيَينِ سُرحوبُ

فانه يمدح نفسه بذلك والمدح انما يكون بالكثير لا بالقليل وقد تكون لتوقع القليل كقول الشاعر

وقَدْ يجْمَعُ اللهُ الشتيتين بعد ما   يَظُنَّانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا

ومن الحروف ـ السين • وسوف ـ ومعناها تخصيص الفعل المضارع بالاستقبال وتكون السين أقرب الى زمن الحال من سوف ومن سوف أخذ التسويف فى الوعد ومعناها المطل مع الاطماع

ومن الحروف ـ التاء ـ الساكنة المتصلة بالفعل الماضى دالة على تأنيث الفاعل اذ الفعل لا يوصف بتذكير ولا تأنيث وأغنى عنها فى المضارع والأمر تاء المضارعة وياء ضمير

حدثتنى عمتى وكانت من بنى دارم قالت سألت امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عَبَدَة مامعنى قولك كرك لامين قال مررت بنابل وصاحبه يناوله الرسن لوءاماً وظهاراً فما رأيت أسرع منه فشبهته به •• وقال القتيبى انما هو كر كلامين أى تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامى ارم ارم أى ليس بين الطعن والطعن الا بمقدار ارم ارم والنابل صاحب النبل •• وقال زيد بن كندة يريد انه يطعن طعنتين مختلفتين ويوالى بينهما كما يوالى هذا القائل بين هاتين الكلمتين اه وبهذا تعلم ان ما فى الاصل محرف لا يستقيم اه كتبه محمد بدر الدين

(١) نَغِل الاديم بالكسر نغلاً فهو نَغِل فسد فى الدباغ يقول عامل ذوى عداوتك بالحسنى كما تعامل ذوى قرابتك تستل سخائمهم من صدورهم فان الاديم الفاسد قد يرقع فيصلح حتى ينتفع به اه كتبه محمد بدر الدين

المؤنثة الواحدة ونون جماعة المؤنث

ومن الحروف ـ اللام ـ وتكون جارة وقد سبق ذكرها وتدخل على الفعل المضارع مضمراً بعدها أن فتكون للتعليل . . وتجيء بعدما كان مؤكدة للنفى وتسمى لام الجحود وتكون مكسورة فى هذه المواضع فرقا بينها وبين لام التوكيد وأصلها الفتح ولذلك فتحت مع الضمير حيث أمن اللبس . . وتجيء اللام للتوكيد مفتوحة فى جواب القسم وفى خبر إن ومقترنة بالمبتدأ وتسمى حينئذ لام الابتداء نحو قولك لزيد قائم وهى المقترنة بعمر وأيمن . . وتجيء اللام موطئة للقسم مقترنة بان تليها لام جواب القسم المحذوف نحو قوله تعالى لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً وقد يؤتى معها بالقسم كقوله تعالى وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وهى بدل عن القسم ان لم يذكر معها وفى حكم تكراره ان ذكر وتكون اللام فى جواب القسم مقترنة بالفعل المضارع المؤكد بالنون وبقد داخلة على الفعل الماضى غالباً وربما اقترنت بالفعل الماضى نفسه نحو قول امرىء القيس

حَلَفْتُ لها باللهِ حِلْفَةَ فاجرٍ لنَاموا فما إنْ من حديثٍ ولا صَالِى

ومن الحروف الحرفان المصدريان . . وهما ـ ان . وما ـ وسميا مصدريين لأن كل واحد منهما وما بعده من الفعل فى تأويل مصدر وقد مضى ذكر أن فى نواصب الفعل وتجيء ـ ما ـ فى نحو قوله تعالى وضاقت عليهمُ الأرضُ بما رحُبَتْ أى برُحْبها قال الشاعر

يسرُّ المرءَ ماذهبَ الليالى وكانَ ذهابُهنَّ له ذَهَابَا

وقد جاء رفع الفعل بعد أن تشبيهاً لها بما المصدرية أختها قال الشاعر

أنْ تقرَآن على أسماءَ ويحَكُما منى السلامَ وأن لا تشعِرا أحدا

ويقدح فى هذا البيت أن يكون اتيانه بالنون من ضرورة الشعر وليس لغة للشاعر لكونه أتى بعدها فى آخر البيت بفعل منصوب بحذف النون

ومن الحروف ـ التنوين ـ وهو على خمسة أنواع . أحدها تنوين الأمكنية التى هى بقاء الاسم على أصالته وسلامته من شبه الحرف وموانع الصرف . والثانى الفاصل بين المعرفة والنكرة فى نحو صهٍ ومهٍ وايهٍ وهذه الكلمات منونة نكرة وغير منونة معرفة والأمر

بالمعرف منه أبلغ من الأمر بالمنكر . والثالث[١] العوض عن المضاف اليه فى نحو يومئذ وحينئذ وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته . والرابع تنوين الترنم فى نحو قول الشاعر

أقلِّي اللومَ عاذِلَ والعتابَنْ ... وقولى إن أصبتُ لقدْ أصابَنْ[٢]

فى القافية المطلقة وقيل فيه إشعار بترك الترنم فان الترنم بمد الصوت ومد الصوت انما يكون فى حروف المد واللين أو المتحركة اذا أشبعت حركاتها والتنوين حرف ساكن ولا مد فيه ومن هذا القسم التنوين اللاحق بالقافية المقيدة ويسمى الغالى وهو كقول رؤبة

* وقاتِمِ الاعماقِ خاوى المُختَرَقِنْ *[٣]

---

(١) قوله والثالث العوض عن المضاف اليه الخ تنوين العوض قد يكون عوضاً عن جملة وهو الذى يلحق اذ عوضاً عن جملة تكون بعدها كقوله تعالى وأنتم حينئذ تنظرون أى حينئذ بلغت الروح الحلقوم فحذفت بلغت الروح الحلقوم وأتى بالتنوين عوضاً عنه وقد يكون عوضاً عن اسم وهو اللاحق لكل عوضاً عما تضاف اليه نحو كل قائم أى كل انسان قائم فحذف انسان وأتى بالتنوين عوضاً عنه وقد يكون عوضاً عن حرف وهو اللاحق لجوار وغواش ونحوهما رفعاً وجراً نحو هؤلاء جوار ومررت بجوار فحذفت الياء وأتى بالتنوين عوضاً عنها اه كتبه محمد بدر الدين

(٢) قوله ـ ان أصبت ـ روى بضم التاء وكسرها للمخاطبة فالمعنى على الاول اذا وافقت الصواب فى عملى فقولى قد أصاب ولا تنكرى على ما يقع منى من صواب والمعنى على الثانى ان أردت أن تكونى على الصواب فقولى قد أصاب فى عمله والشاعر قد كان يفرق ماله فى وجوه الخير فلامته زوجته على ذلك فخاطبها بهذا فى أبيات كثيرة اه كتبه محمد بدر الدين

(٣) تمامه * مشتبه الاعلام لماع الخفقن * ـ قاتم ـ مظلم ـ وأعماق ـ جمع عمق بفتح العين وضمها وهو مابعد من أطراف المفازة مستعار من عمق البئر ـ وخاوى ـ خالى يقال خوى المكان اذا خلى من ساكنيه ـ والمخترق ـ الطريق لان السابلة تخترقه

والخامس تنوين المقابلة وهو تنوين المؤنث بالألف والتاء لان اعراب المؤنث بالالف والتاء محمول على اعراب جمع المذكر السالم فالحركات هنا تابعة لتلك الحروف وليست الحركات[1] التى تلك الحروف بدل عنها بل هى بدل عن بدل تلك الحركات والدليل عليه تنوين عرفاتٍ فى قوله تعالى فاذا أفضتم من عرفات مع وجود موانع الصرف فلما كانت هذه الحركات فى المؤنث بالألف والتاء فى قبالة الحروف التى هى علامة الاعراب فى جمع المذكر السالم لزم أن يكون التنوين فى قبالة النون ولم يكن تنوين الصرف

ومن الحروف – نونا – التوكيد الخفيفة والثقيلة ومعناهما التوكيد ويبنى الفعل المضارع معهما على الفتح فان كان الفعل المضارع متصلا بألف ضمير الاثنين أو واو ضمير جماعة الذكور أو ياء ضمير المؤنث ودخلت عليه نون التوكيد احتمل أن يكون باقياً على اعرابه وأن يكون مبنياً غير انهم بنوا ما قبل واو جماعة الذكور على الضم دليلا عليها وما قبل ضمير المؤنث على الكسر دليلا عليها والمختار عند المحققين انها معربة لان نون الاعراب تكون محذوفة كراهة اجتماع النونات

ومن الحروف – هاء – السكت وهى التى فى قوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه يؤتى بها لاعطاء ما قبلها حظه من الحركة واعطاء الوقف حظه من

– والاعلام – جمع علم وهو الامارة لانها تكون علامة على الطريق – ولماع الخفقن – أى يلمع فيه السراب ويتموج لاتساعه وتباعد أطرافه يقول انه قطع مثل هذه المفازة التى لا يقدم على قطعها الا من بلغ الغاية فى قوة القلب وجراءة الجنان اه كتبه محمد بدر الدين

(١) قوله وليست الحركات التى الخ هكذا جاءت العبارة فى أصل الكتاب وفيها اضطراب لا يخفى وفى كتب النحو تنوين المقابلة هو اللاحق لنحو مسلمات مما جمع بألف وتاء سمى بذلك لانه فى مقابلة النون فى جمع المذكر السالم فى نحو مسلمين وليس بتنوين الامكنية خلافا للربعى لثبوته فيما لا ينصرف منه وهو ماسمى به مؤنث كاذرعات لقرية ولا تنوين تنكير لثبوته مع المعربات ولا تنوين عوض وهو ظاهر وما قيل انه عوض عن الفتحة نصبا مردود بان الكسرة قد عوضت عنها اه كتبه محمد بدر الدين

الوقوف عليها ساكنة فان الحركات اذا ظهرت كانت المعانى معها أبين والاتيان بها بعد الألف فى الندبة لان الألف فى الندبة حركة مشبعة فرجعها بيان الحركة أيضاً

ومن الحروف حرف الانكار وهو ـ هاء ـ ساكنة يلحقها المنكر بما أنكر من كلمة أو أكثر ولا يخلو آخر ما أنكر من أن يكون متحركا أوساكناً فان كان متحركاً أشبعت حركته حتى تكون الفتحة ألفاً والكسرة ياء والضمة واواً نحو قولك لمن قال أكرمت أحمد أحمداه ولمن قال صمت أمس أمسيه ولمن قال أكرمنى عمر أعمروه وان كان آخر ما أنكر حرفاً ساكناً فإما أن يقبل الحركة أو لا يقبلها للتعذر أو للاستثقال فان لم يقبل الحركة اتبعته ان وكسرت النون لالتقاء الساكنين وأشبعت الكسرة حتى تكون ياء فتقول لمن قال جاء موسى أجاء موسى انيه وان كان الساكن مما يقبل الحركة فلك أن تعامله معاملة نون ان ولك أن تزيد بعده ان كما سبق فتقول لمن قال هذا زيد ان شئت أزيدنيه وان شئت أزيدانيه والانكار قد يكون لحصول ذلك وقد يكون على تقدير عدم حصوله فيكون الاخبار والاستخبار عنه من باب تحصيل الحاصل ومثال الأول أن تقول لمن قال آمن أبو جهل أأبو جهل نيه ومثال الثانى أن تقول لمن قال أبو جهل عدو رسول الله أأبو جهل نيه ولك أن تصل ما أنكرت بكلام فتستغنى به عن حرف الانكار ولا تأتى به فتقول لمن قال جاء زيد أزيد ياهذا

ومن الحروف حروف التذكر وهو أن يتكلم المتكلم بكلمة فينسى ما يريد أن يصلها به فيتبع حركتها واواً ان كانت ضمة وياء ان كانت كسرة والفا ان كانت فتحة ويمد حتى يذكر ويتبع سكونها ياء ويكسر ما اتصلت به لالتقاء الساكنين ويمد فيقول ان وقف على قال ناسياً ما بعده قالا وعلى يقول يقولو وعلى لم يجف لم يفى وعلى قل قلى مد وان كان الموقوف عليه حرف مد مددت فيه فقط فتقول ان وقفت على عيسى عيسى مد وعلى يدعو يدعو مد وعلى يقضى يقضى مد وقال سيبويه سمعناهم يقولون انه قدى مد والى مد يعنى فى قد فعل وفى الالف واللام اذا تذكر الحارث ونحوه قال وسمعنا من يوثق به يقول هذا سيفى يريد سيف من صفته كيت وكيت واختصت الياء بهذا هنا كما اختصت به فى القافية المطلقة دون الواو والألف

ومن الحروف حروف الخطاب وستذكر مع مالم يذكر من الأسماء المشبهة للحروف وهى المضمرات والمبهمات لاختصاصها بها

ومن الحروف حرفا التعليل وهما لام الجر وكي وقد مضى ذكرهما وتقول لمن قال قصدت فلانا لمه أو كيمه فيقول ليحسن الى وكى يحسن الى ٠٠ وأما قولهم حروف المضارعة فليست حروف معان بل حروف هجاء تدل الألفاظ المبنيـة عليها على المعانى المنسوبة اليها فنسبتهم المعانى اليها على سبيل المجاز فان الهمزة وحـدها مثلا لا تدل على المتكلم والمبنى عليها الفعل لا قيام له بنفسه لـكن معها فالدلالة حينئذ للمجموع وهو الذي يقال له الفعل المضارع

واذ قد أتينا على الحروف وما تضمن معناها من الأسماء فقد بقى من الأسماء ما يشبه الحروف مطلقاً لايتضمن معنى حروف بأعيانها

فنها المضمرات وهى كل اسم دل على المتكلم من حيث هو متكلم أو على المخاطب من حيث هو مخاطب أو علـى الغائب من حيث هو غائب نحو أنا وأنت وهو وما فى معناها وهى ستة وأربعون ضميراً يلفظ بها وواحد يضمر ولا يلفظ به ويسمى مستكناً وفائدة هذه المضمرات فى الكلام الاختصار وتجنب التكرار تقول لقيت زيداً وسلمت عليه أقيم مقام لقيت زيداً وسلمت على زيد فهو أخصر من الظاهر وهو مع ذلك سالم من تكرار زيد هذا فى ضمير الغائب وأما فى ضمير المتكلم والمخاطب فانه اذا أتى بالاسم فى موضع التبس المتكلم والمخاطب والغائب فلم يعرف من المقصود فانه لو أقام مقام التاء فى لقيت اسمه وهو عمرو مثلا فقال لقى عمرو زيداً لم يعرف كل واحد من عمرو وزيد أهو متكلم أو مخاطب أو غائب ففى اقامـة الضمير مقام الظاهر هـذه الفوائد الجمـة ٠٠ وينقسم الضمير الملفوظ به الى منفصل ومتصل والمنفصل أربعة وعشرون اثنا عشر لا تقع الا مرفوعة واثنا عشر لا تقع الا منصوبة فللمتكلم من المرفوعة اثنان وهى انا ونحن وللمخاطب خمسة وهى أنت وأنت وأنتمـا وأنتم وأنتن وللغائب خمسة وهى هو وهى وهما وهم وهن وللمتكلم من المنصوبات اثنان اياى وايانا وللمخاطب خمسـة اياك واياك واياكما واياكم واياكن وللغائب خمسة اياه واياها واياهما واياهم واياهن ولم يفـرق

في المتكلم بين المذكر والمؤنث والمجموع ... (١)

---

(١) هنا نقص في الاصل المنقول عنه المحفوظ بدار كتب صاحب السعادة احمد بيك تيمور بمصر وهو ورقتان كاملتان من الاصل ولم اقف على نسخة أخرى بعد تقصي دور الكتب في سوريا كلها وفي الاستانة العلية سوى النسخة المحفوظة في كتب سعادة خالص بيك مستشار الخزينة الخاصة في زمن السلطان عبد الحميد وقد تكلفت الاكمال منها فلم أتمكن لاقفال مكتبته هذه الكائنة في بيته في أورته كوي بعد حادثة الدستور العثماني

نحن بصدده ان فاعلهما معرف بالالف واللام للجنس فان المشهور فيه ان المعنى امدح الجنس أو اذمه لكون زيد مثلا منه وتحقيق هذا ان الالف واللام لتعريف الطبيعة فهو يمدح الطبيعة التي هي طبيعة زيد أو يذمها والالف واللام تكون للعهد وبمعنى الذي فيكون معنى المعرف بها جزئيا ويكون للجنس ويكون معنى المعرف بها كليا وهو اما الطبيعة أو جملة تشتمل على افراد: اما الطبيعة فنحو قولهم الرجل خير من المرأة لم يرد هاهنا الجملة المشتملة على افراد بل الطبيعة من حيث هي طبيعة ويسمى هذا الكلي الطبيعي: واما الجملة المشتملة على الافراد فان حكم عليها من حيث هي جملة لا من حيث افرادها فردا فردا فذلك الكلي العقلي نحو قولك حيوان جنس والانسان

نوع وان حكم على جملة من حيث افرادها فردا فردا فهو الكلي المنطقي نحو قولك كل انسان ناطق وبعض الانسان كاتب والانسان كاتب

- ونعم . وبئس - اصلهما نعم وبئس التزم بهما طريقة واحدة فجريا مجرى المثل

ومن ذلك - حبذا - ومعناها المدح كنعم واصل فعلها حبب والتزم معه ذا فيجوز ان يكون فاعلا تخصيصا للممدوح ونفيا لتوهم غيره ويجوز ان يكون الفاعل الممدوح وذا مقحم لتخصيص الممدوح ايضا

ومن ذلك فعلا التعجب وهما ماأفعَل وافعِل به في قولك ما افعل زيدا وافعلُ بزيد نحو قولك ما اكرم زيدا والئم بزيد: والتعجب إنما يكون من شيء خفي سببه ولذلك صدرت الصيغة الاولى بما نكرة غير موصوفة المراد بها شيء الذي هو اعم النكرات فالواجد المطلوب منه اعز المجهودات علما واما الصيغة الثانية فاستعمال الفعل فيها بلفظ الامر أمر مطلق لكل من سمع ان يعتقده من غير سؤال عن سببه فيحتمل ان يكون افعل بمعنى فعل فتكون الباء زائدة والمجرور بها مفعول به ويجوز ان يكون افعل بمعنى فَعُل فيكون المجرور بالباء فاعلا واما فعل في نحو قولك كرم زيد ولؤم زيد ونحو قوله تعالى - كبرت كلمة تخرج من افواههم - فيجوز أن يكون معناه معنى التعجب وقد عده ابو العلاء بن سليمان ثالثا لفعلي التعجب ويجوز ان يكون المراد منه المدح أو الذم فيكون في معنى نعم وحبذا اذا كان الفعل مما يمدح به وفي معنى بئس اذا كان الفعل مما يذم به فيكون قوله تعالى - كبرت كلمة تخرج من افواههم - وهذا رأي اصحابنا البصريين ان كان المراد به معنى التعجب فهو بالنسبة الى المخاطبين لا بالنسبة الى الله تعالى فان الله لايخفى عليه شيء والمخاطب في هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم وامته والمتعجب منه من يقول ان الله يتخذ ولدا ويفترى عليه الكذب وان كان معناها معنى الذم فيكون معناها بئست الكلمة الخارجة من افواههم لعظمها في الكذب وانها لاتكاد تلبس بالصدق اصلا

وإذ قد اتينا على ما ذكرنا انه يحتاج اليه في طريق البيان من بعض القواعد المنطقية ومعاني الحروف وما يشبهها من الاسماء والافعال وذكرنا ماتيسر من ذلك فلنشرع الآن في ذكر البيان والكلام فيما جرت العادة ان يسمى علم البيان فنقول

الفصاحة والبلاغة والبيان ألفاظ تشترك فى كثير من المعانى ويختص كل واحد منها بما ليس للآخر لكن الفصاحة أصلها الخلوص من الشوائب لقولهم أفصح اللبن وفصح اذا خاص من الاباء وذلك فى الكلام لا يكاد ينفك عن أن يكون بيناً فالفصاحة أعم من البيان من وجه والبيان أعم من الفصاحة من وجه فان البين قد لا يكون كلاماً والخالص من الشوائب قد لا يكون بيناً وكذلك البلاغة مع كل واحد من الفصاحة والبيان .. ومعنى البلاغة انتهاء الشئ الى غايته المطلوبة وكل واحد من الألفاظ الثلاثة يستعمل فى الكلام وفى غيره والكلام فى هذه المعانى الثلاثة هو بالنسبة الى وقوعها فى الكلام لا غير فالفصاحة تكون بالنسبة الى اللفظ من وجهين . أحدهما أن يخرج المتكلم الحروف من مخارجها ويخلص بعضها من بعض . والثانى أن يكون اللفظ مما تداوله فصحاء العرب وكثر فى كلامهم وتكون بالنسبة الى المعنى وهو أن يكون المعنى مخلصاً من غيره

والبلاغة تتعلق بالمعنى فقط وهو أن يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه ومما يعين على ذلك الفصاحة فى كلام العرب لأن الفصاحة من أجزاء البلاغة فان الأعجمى اذا كلم الأعجمى فبلغ منه المعنى غاية مبلغه كان كلامه بليغاً ووصف بالبلاغة وليس من كلام العرب

والبيان فى عرف الكلام أتم من كل واحد من الفصاحة والبلاغة لان كل واحد منهما من مادته وداخل فى حقيقته ولذلك قلنا علم البيان وتكلمنا فيه فى الفصاحة والبلاغة وغيرهما ولم يوضع علم للفصاحة ولا علم للبلاغة واذا كان البيان متعلقاً بالألفاظ والمعانى فلنبدأ بذكر الألفاظ فنقول .. الحقيقة والمجاز استعمال اللفظ لما وضع له وضعاً أولياً وما وضع له بالنقل لمناسبة ما بين المنقول اليه والمنقول منه والكلمات المفردة منها ما يستحسن ومنها ما يستبشع وذلك بحسب أمور . منها تباعد مخارج الحروف وتقاربها ومنها المألوف والحوشى . ومنها مالم تبتذله العامة وما ابتذلوه . ومنها أن تكون الكلمة وضعت فى أصل وضعها غير مستقبحة المعنى ثم صرفها الاصطلاح آنفاً الى ما يستقبح . ومنها التصغير فيما يليق به ومالا يليق . ومنها التركيب من أخف الأوزان وأثقلها .

ومنها ماتخف حركته أو تثقل • وترتيب مخارج الحروف همزة ألف هـ ع ح غ خ ق ك ج ش ى ض ل ن ر ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف م و ب •• ولهذه الحروف فروع تستحسن وهى الهمزة المسهلة والغنة وهى صوت مخرجه الخيشوم والفا الإمالة والتفخيم وهما ضدان والشين كالجيم والصاد كالزاى وفروع تستقبح وهى كاف كجيم وجيم ككاف وجيم كشين وصاد كسين وطاء كتاء وظاء كثاء وباء كفاء وضاد ضعيفة

ومن الحروف مهموسة يجمعها سكت فحثه شخص (والهمس اخفاء الصوت) وما عداها مجهورة • ومنها شديدة يجمعها أجدك تطبق ومتوسطة يجمعها لم يروعنا وما عداها رخوة والصاد والضاد والطاء والظاء مطبقة (من أطبقت الحقة ونحوها)[1] وما عداها منفتحة والمطبقة مع الغين والخاء والقاف مستعلية وما عداها منخفضة

وأحرف القلقلة قطب جد (من القلقلة التى هى شدة الصياح) واللينة الألف والياء والواو وهن مع الهمزة أحرف الاعتلال والمنحرف اللام والمكرر الراء والهاوى الألف والمهتوت الهمزة (يقال هت الهمزة اذا تكلم بها والهت عصر الصوت) وأحرف الذلاقة مر بنفل (والذلاقة من الحدة والسرعة وحاصله فى هذه الحروف تخلخلها فى مخارجها) والمصمتة ماعداها وماسوى هذه من ألقاب الحروف نسب الى مخارجها وماجاورها ويأتى ذكره

ومخارج الحروف ستة عشر مخرجاً • أولها مخرج الهمزة والألف والهاء وتسمى الحلقية وهذا وما بعده من النسب الى المخارج أو ما جاورها • ويليه مخرجان وهما للعين والحاء • ومخرجان آخران فوق ذينك من أول الفم وهما للغين والخاء • وحرف من أقصى اللسان وهو القاف • وأسفل من مخرج القاف قليلا مخرج الكاف وهذان الحرفان القاف والكاف يسميان لهويين • وثلاثة أحرف من وسط اللسان وهى الجيم والشين والياء وتسمى الشجرية • ومن أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس مخرج الضاد وتسمى

---

(١) الجمل التى بين الدوائر كتبت بهامش الاصل ولم يذكر معها ما يدل على أنها منه أو تعليقة عليه

المنفرد المستطيل (أما كونه منفردا فلكونه لا يقرب من مخرج حرف آخر وأما كونه مستطيلا فلكون مخرجه فى عرض الاضراس وحافة اللسان فى طوله وهما طويلان يدل على ذلك اللفظ ويشهد له الحس) . ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرفه مما بينها وبين ما يليها من الحنك فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا السفلى مخرج النون . ومن مخرج النون غير انه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء وهذه الأحرف الثلاثة اللام والراء والنون من الذلقية .. قال سيبويه ان الأصول الخماسية لا تخلو من أحدها البتة . ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ثلاثة أحرف وهى الطاء والدال والتاء وتسمى النطعية من النطع وهو غار الفم الأعلا ما بين أصول الاسنان العلا وأعلا الحلق . وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا وهى الصاد والسين والزاى وتسمى الأسلية (من اسلة اللسان وهى طرفه المستدق) وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا وهى الظاء والذال والثاء وتسمى اللثوية . وحرف واحد مما بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وهو الفاء . وثلاثة أحرف مما بين الشفتين وهى الباء والميم والواو وتسمى الشفهية

وينبغى للمتكلم أن يجتنب حوشى الكلام إلا ان ألجأت اليه ضرورة والحوشى والوحشى بمعنى وهو الذى يبعد فهمه على أكثر من يسمعه ولا يكون ذلك معيباً الا اذا قام مقامه غيره من البين لأكثر الناس وليس ذلك بالنسبة الى من كان لغته من العرب ولا من تكلم معهم به لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب طهفة بن أبى زهير النهدى فقال اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثَّمَد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد أن لا إله إلاّ الله كان مخلصاً لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا يُلطَط فى الزكاة ولا يلحد فى الحياة ولا يتثاقل عن الصلاة فقال له علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه يارسول الله نحن بنو أب واحد وربينا فى بلد واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره انما يعاب على مثل ابن الرومى فى قوله

إسقنى الاسكركة الصّـ ـنَبْرَ فى جَعْضَلَفُونه واترك الفَيْجَنَ فيـ ـه يا خليلى بغُصُونه

ومما ينبغى أن يجتنب فى الكلام مما نقلته العامة عن أصله واستعملته فى غيره مما يقبح ذكره أو يستسمج كتخصيص الجحر بالمحل المخصوص وابدال السين بالصاد فى الصرم والصرم القطع والعلق فى الأمرد السيئ السيرة والنقانق جمع نِقنق قد نقلته العوام الى الطعام المخصوص وكذلك القطائف والقطيفة نقل من الأكسية المخملة الى الطعام المخصوص.. وفى هذه الألفاظ المنقولة عن العرب ما تغير عن وضعه فى خلق الانسان لكن لم يخرج عن كونه مستعملا فى الحسن أو القبح قالت العرب الصباحة فى الوجه. الوضاءة فى البشرة. الجمال فى الأنف. الحلاوة فى العينين. الملاحة فى الفم. الظرف فى اللسان. الرشاقة فى القد. اللباقة فى الشمائل. كمال الحسن فى الشعر. وكاستعمال النحس فى الخسيس من الناس وغيرهم. وقيل ان هذا الذى نقل الى ما هو حسن كالأصل أو قبيح كالأصل ينبغى أن يجتنب وعندى ليس كذلك

ومما ينبغى أن يعدل عنه الى غيره من الألفاظ ما ابتذلته العامة وكثر فى كلامها وان كان صحيحاً كالقفا والرقبة والحَسَنُ أن يعدل عنه الى الظهر والعنق

ومما ينبغى أن يجتنب ما هو مشترك بين ضدين إلا أن يكون معه قرينة تخصصه بالمراد كقولك عزرت فلاناً هو مشترك بين أن يكون عظمته أو أهنته

ومن البيان — التصغير — قد يرد لمعان وأصله الصغر فى المقدار واذا ورد فى المعنى كان تشبيهاً له بالمقدار فهو اذا للتحقير والشئ قد يحب لصغره فيقال فيه تصغير التحبيب والمعنى قد يحقر فى نفسه ويعظم أثره فيقال فيه تصغير التعظيم.. أمثلة ذلك تصغير الشئ لا للتحبيب مثل جبيل فى الأجسام وفويق وتحيت فى ظرف المكان وقبيل ووقيت فى ظرف الزمان ودريهمات وأجيمال فى العدد.. وللتحبيب مثل يا أُخى ويا بنى ومنه قول عنترة

عَجِبَتْ عُبَيْلَةُ من فتىً متبذِّل عارى الأشاجع شاحبٍ كالمُنْصُلِ

والتصغير من جهة المعنى قد يكون لمجرد التحقير كقولنا للرجل الجبان أو الجاهل رجيل وقد يكون لتعظيم أثره وحقارته كقوله دويهيّة تصفرُّ منها الأنامِلُ

وأما ما جاء موضوعا لمسماه على مثال من أبنية التصغير كالكجين والكميت فى الاجناس

والثريا وسهيل فى الاعلام فليس من هذا الباب .. وأصل أبنية التصغير وزن فعيل وفعيعل فى الحركات والسكنات وزيادة ياء التصغير لا فى الاصول والزوائد من الحروف وقد يزاد مع ذلك ياءعوض حرف المد واللين فيجئ على وزن فعيعيل مثل منيديل ودنينير ومنيصير فى منديل ودينار ومنصور .. والخماسى الأصول يحذف خامسه فى الغالب كقولهم فى سفرجل سفيرج وقد يحذف رابعه كقولهم فى فرزدق فريزق وقد يزاد فيه ياء هى مدة كقولهم فى سفرجل سفيريج ويبقى مع هذه الأمثلة بعض الحروف الزوائد مثل الألف والنون فى سكران فيقال سكيران والالف الرابعة فى اجمال فيقال أجيمال وحبيلى وحميراء وعليباء وشذ عن الأصلين المذكورين تصغير اسم الاشارة والموصول نحو ذيا وتيا واللذيا واللتيا وشذ زيادة ألف ونون فيما ليست فى أصله نحو مغيربان فى تصغير مغرب واستقصاء الكلام فى التصغير يؤخذ من علم التصريف وفيما ذكرناه هنا كفاية والتصغير وان كان مستحسناً فذلك مع قلته فى الكلام واذا كثر سمج وكذلك كل ما يستحسن من أبواب البديع كالتجنيس والمطابقة وغير ذلك واذا كانت الكلمتان على السواء فى المعنى وحسن التركيب فى تأليف حروفهما وائتلاف كل واحدة منهما معما صحبها واحداهما أطول من الاخرى كان الاتيان بأقلهما حروفا أحسن لخفتها هذا اذا لم يقصد فى الكلام التهويل واشغال السمع بطوله والطول ان كان بحروف الأُصول أو الزوائد سواء

وأصل الكثير من الكلام ثلاثة والرباعى للأُصول قليل والخماسى قليل جداً ولا تزيد الأُصول عليه ولم يجئ فى فعل ولا مصدر من الأسماء ولا ما اشتق منه .. والأسماء تكون مجردة عن الزوائد وينتهى الثلاثى الأُصول والرباعى بالزيادة الى سبعة أحرف ولا يزاد على الخماسى سوى حرف واحد ولا يزيد الفعل ثلاثى الأصل كان أو رباعيه على ستة أحرف

والحروف منها ما هو خفيف ومنها ما هو ثقيل ومنها ما هو خفيف بالنسبة الى شئ وثقيل بالنسبة الى شئ آخر فأخف الحروف حروف المد واللين وهى الالف . والياء . والواو . والالف أخف من الياء والياء أخف من الواو والحرف الساكن أخف من المتحرك والمفتوح أخف من المكسور والمكسور أخف من المضموم والحرف اذا انكسر ثقل

والانتقال من الواو الى الياء ثقيل والانتقال من الياء الى الواو أثقل منه والضمة والكسرة مثلهما هذا بالنسبة الى اللفظة المفردة أما بالنسبة الى التركيب فانه ينبغي أن يكون اللفظ والمعنى متساويين كما تساوى اللفظة الواحدة معناها ومعنى ذلك أن لا يكون اللفظ محملا لمعان فيشكل على السامع المقصود وان ترجح لاحتمال المرجوح فانه اذا زاد اللفظ على المعنى كان للزائد معنى يزيد على المعنى المطلوب واذا نقص اللفظ عن المعنى سقط جزء من المعنى المطلوب . وقد يطلب في بعض الأماكن الاختصار لأمور كسأم السامع وفوات الغرض عند التطويل أو فوات أمر آخر بسبب التطويل وقد يطلب التطويل لأمور كتأنيس السامع وارهابه وتهويل المعنى وتعظيم أمره وأن تكون الكلمات المتجاورة متناسبة ليس بينها تنافر من جهة الاستعمال ولا من جهة الحروف .. واعلم ان العناية بالمعنى أعظم من العناية باللفظ لتمام غرض المتكلم من افهام السامع فلا يفي حسن اللفظ بما نقص من المعنى والمعاني وان اختلفت في الجودة والرداءة فقد يراد الجيد لذاته وقد يراد الردئ لذاته فيقبح وضع الجيد في موضع الردئ كما يقبح وضع الردئ في موضع الجيد ويمدح المؤلف بابتداع المعنى الذى لم يسبق اليه وينبغي أن يقال الذى لم يسمعه قبل ابتداعه فان السبق الى المعنى يقل لكثرة ما قال الناس .. ولا فرق بين من لم يسبق وبين من لم يسمع فان كل واحد منهما مبتدع وانما ينقص من لم يسمع بقلة اطلاعه على كلام الناس ولا يقدح ذلك في قريحته بل تعظم لذلك

وللحروف خواص ولتركيب بعضها مع بعض خواص وليس هذا من هذا الباب فانه يحدث للمتكلم وان لم يقصده ويقل أثره ويكثر بالنسبة الى القائل وذلك في الكلمة الواحدة وتركيبها مع غيرها فان من الكلام المبكى والمضحك والمنوم وما يحمل على الأخلاق المحمودة والمذمومة كالشجاعة والكرم والانفة وأضداد ذلك .. وتختلف الناس بالتأثر لذلك لاختلاف طباعهم وأمزجتهم وأحوالهم وقد يختلف كلام المتكلم لاختلاف حالاته كقول امرئ القيس

ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ

.. وقوله

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ إنما ... نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنعذَرا

.. وقوله

فتملأُ بيتنا أقطاً وسمناً ... وحسبُكَ من غنى شِبَعٌ ورِىٌّ

وفى هذا تباين فى همته بالنسبة الى أحواله .. وفى بيت امرىء القيس الأول بحث ليس مما نحن فيه لكن يحسن ذكره لما فيه من دقيق البيان وذلك ان الكوفيين يستدلون به على مذهبهم من إعمال الأول من المتنازعين .. وقال البصريون ليس هذا من تنازع العاملين لفساد المعنى وان مفعول لم أطلب شىء وليس قليلا ولا يفسد المعنى على رأى الكوفيين فان القليل قد يكفيه بان يأتيه عفواً من غير طلب لكن يسقط استدلال الكوفيين باحتمال ماذكر البصريون من المعنى فكيف برجحانه

وأما المسبوق فينبغى له اذا استعمل المعنى أن يزيد فيه وان يكسوه من الألفاظ ماهو أليق به وأدنى درجاته أن لا ينقصه عن السابق والا فهو مذموم على مزاحمته .. وفى الناس من يعتنى بالمعنى دون اللفظ كمعانى المتنبى العالية مع ألفاظه المعجرفة وفى الناس من يعتنى باللفظ دون المعنى وهو دون تلك الطبقة كقول أبى تمام

وأحسنُ من روضٍ تُفتّحهُ الصّبا ... بياضُ العطايا فى سَوادِ المطَالِبِ

اللفظ فى غاية الحسن والمعنى اذا تحقق ليس بجيد فان التفضيل لايقع الا بين مشتركين فى أمر حقيقى أو مجازى ولا اشتراك بين حقيقى ومجازى وحسن الروض تفتحه الصبا حقيقى مشاهد بالحس وبياض العطايا وسواد المطالب مجازيان لانهما غير مدركين بالحس ومن الناس من قال إن قول بعض العرب

ولمَّا قضينا مِن منًى كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأركانِ من هو ماسحُ

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المطِيّ الأباطحُ

مما لفظه فى غاية الحسن ومعناه ضعيف وليس كذلك بل معناه أيضاً فى غاية الحسن والشرف فان قوله ـ قضينا من منى كل حاجة ـ عنى به العبادة وأفعال الحج ويدل عليه قوله ـ ومسح بالاركان من هو ماسح ـ ولما فرغ من أفعال النسك أخذ فى ذكر الانصراف والأخذ بأطراف الأحاديث فيه وهو من أشرف أحوال المحبين فان فيه من الايماء

الى المعانى وعدم التصريح بها ما هو من أجل الأشياء فى هذا الموضع وفيه معنى لطيف مطلوب وذلك ان هذه الحال قريبة من التفرق ولا تحتمل اتساع الأحاديث بجملتها فلذلك قال بأطراف الأحاديث لانه يأخذ من كل حديث فى نفسه طرفاً والأخذ بأطراف الأحاديث أيضاً بين الأُدباء والفضلاء من أجل المعانى لدلالته على غزارة علومهم ومعرفتهم بالجمل من الأطراف

وقد اختلف الناس فى تفضيل النثر على النظم والنظم على النثر ورجح كل واحد منهما بترجيحات يمكن أن تزيف بالأجوبة عنها والذى عندى فى ذلك ان الشعر فيه كما فى النثر وزيادة الوزن ولا يرد كون القرآن الكريم غير منظوم فانه أريد به تعجيز كل من يتكلم بالعربية والذين يتكلمون بها جميعهم فى طباعهم الكلام المسجوع وليس النظم فى طباع جميعهم فلو كان منظوما لجاز أن يقول من لا طبع له ما أنا من أهله فأعجز به كما يقول الأعجمى ما أنا من أهل العربية فأعجز بالكلام العربى ولا يرد كثرة النظم فى قوم أو قلة النثر فى قوم فان ذلك يقل ويكثر لا للصعوبة والسهولة بل لانهم أحبوه فأكثروا منه كما أكثر المغاربة من الموشح والعجم من دوبيت وأهل العراق من كان وكان

ولنذكر الآن المعانى التى يبحث فيها عن علم البيان معنىً معنىً والتى يشبه أن تكون موضوع علم البيان

فمنها ـ الاستعارة ـ وهى نوع من انواع المجاز ومعناها فى الحقيقة التشبيه لكن حذفت أدواته ليكون أبلغ وأوقع فى النفس وهو أن تسمى الشئ باسم غيره لشبهه به وارادتك وصفه بوصفه كقولك للرجل أسد لشجاعته وبحر لكرمه وطود لثباته وما أشبه ذلك وهو كثير فمنه نقل اسم المنقول منه الى المنقول اليه من غير ذكر اسم المنقول اليه كأنك جعلته إياه حقيقة للمبالغة كقولك يابدر وياظبي .. ومنه ما يذكر معه اسم المنقول اليه كقولك زيد أسد إخباراً وجاء زيد الأسد صفة من غير أن تذكر المعنى المستعار له وان كان سيبويه قد استضعف الاسم وان دل على الصفة كدلالة الأسد على الشجاعة وقد يذكر المعنى المستعار لأجله كقولك زيد أسد بسالة وجاء زيد

البحر جوداً ومما لا يذكر معه اسم المنقول اليه ولكن ذكر معه ما يدل عليه كقولك ياقمر الأرض وياظبية الأُنس وهذا متوسط بين المعنيين وان كان من القسم الأول .. ومن الاستعارة ما هو فى غاية الحسن .. ومنها ما هو حسن ومنها ما هو مستبشع فأما ما هو فى غاية الحسن فكقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة استعار المحو لليل لعدم ادراك المبصرات فيه فهو كالممحو من الرسم وغيره ولا يدرك فيه شئ بالبصر إلا بواسطة غيره كالكواكب والنار واستعار الإبصار للنهار لكشفه المبصرات وتحقق الناظر لها وقد يقال هذه الاستعارة فى غاية الحسن بالنسبة الى كلام البشر لا الى انه ككلام الله فان كلام الله ليس ككلام البشر .. ومنه قول ابن الرومى

آراؤهُمْ ووجوهُهُمْ وسيوفُهُمْ   فى الحادثاتِ اذا دَجَوْنَ نُجومُ
منها معالِمُ للهُدى ومصابحٌ   تجلو الدُّجى والأُخرياتُ رجُومُ

وأما ما هو حسن ولا يبلغ درجة الأول قول بعضهم

أضاءتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ ووجوهُهُمْ   دُجى اللَّيْلِ حتى نظَّم الجِزْعَ ثاقِبُهْ

وانما نقص بالاحالة لان الأحساب وان كانت قد وصفت بالاضاءة لظهورها والأوجه وان كانت قد وصفت بالاضاءة لحسنها فانهما لا يضيئان الليل بخلاف قول ابن الرومى ـ نجوم ـ فان النجوم مضيئة فى أنفسها .. وأما ما هو مستبشع فكقول المتنبى

اذا كانَ بَعضُ النَّاسِ سيفاً لدَوْلَةٍ   فى الناسِ بوقاتٌ لهَا وطبُولُ

وبشاعته عند المنصف ظاهرة فانه أراد بذلك حط مرتبتهم فاستعمل اللفظ السمج فى قوله ـ بوقات وطبول ـ مع انها تظهر فخامة السيادة وتنوه بها فلم يحصل له المعنى المراد مع سماجة اللفظ .. والاستعارة تكون للأسماء والصفات والأفعال . أما استعارة الاسم فكقولك زيد أسد والصفة كمبصرة فى آية النهار والفعل كاشتعل الرأس شيبا

ومنها التشبيه وهو الاخبار بالشبه فلنبين الشبه فنقول هو اشتراك الشيئين فى صفة أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات ولم يبق إلا كون كل واحد منهما غير الآخر ولو لم يكن كذلك لكانا شيئاً واحداً عبر عنه بعبارتين ولا شبه حينئذ بين الشئ ونفسه إذ لا بين

• والتشبيه يكون للأدنى بالأعلى غالباً بل لابد من ذلك لأن الغرض رفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى لابالعكس وقد يقلب بعضهم ذلك مبالغة ولابد من قرينة تدل على مراد القالب من رفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى كقول بعضهم

ولم أرَ مثلَ هالةَ فى مَعَدٍّ يُشَابِهُ حُسْنَها إلاّ الهلالا

ولا بد فى التشبيه من اداته وهى الكاف أو كأن أو ارادتها أو ارادة معناها ومتى خلا عن ذلك فهو الاستعارة فان المستعير قصد نقل اسم المستعار منه الى المستعار له أى هو هو ولزمه معنى التشبيه من غير قصد • • والتشبيه ينقسم الى تشبيه الصورة بالصورة والمعنى بالمعنى والصورة بالمعنى والمعنى بالصورة أما تشبيه الصورة بالصورة فكقول امرئ القيس

كأن سراته لدى البيتِ قائماً مَداكُ عَرُوسٍ أو صراية حَنْظَلِ[1]

وأما تشبيه المعنى بالمعنى فكقول عنترة

وخَلا الذُّبابُ بها فليسَ ببارحٍ غَرِداً كفعلِ الشَّارِبِ المترنّمِ

وأما تشبيه الصورة بالمعنى فكقول امرئ القيس

كأنّ الحَصى مِنْ خلفِها وأمامِها اذا نجلَتْهُ رِجلُها خَذْفُ أعسَرا

وأما تشبيه المعنى بالصورة فكقول امرئ القيس والتوأم

كأنّ هَزيزَهُ بوراء غَيْثٍ عِشارٌ وُلّهٌ لاقتْ عِشارا

وتشبيه المعنى بالصورة والصورة بالمعنى لابد فيه من تجوز وتأويل يرجع الى تشبيه الصورة بالصورة والمعنى بالمعنى ومن عد تشبيه المعنى بالصورة ولم يعد تشبيه الصورة بالمعنى لامعنى لترجيحه أحدَ الأمرين على الآخر بل إما أن يعدا معاً أو لايعدا معاً وكل واحد من هذه الأقسام ينقسم الى تشبيه مفرد بمفرد كقول المتلمس

عُقاراً عُتّقت فى الدّن حتى كأن حُبابَها حدَقُ الجرادِ

والى تشبيه مركب بمركب ومعناها تشبيه المركب بالمركب لا كل جزء بجزء على سبيل

---

(١) كذا فى الاصل والمحفوظ

كأن على المَتْنَين منهُ اذا انتحى مَداكَ عَرُوسٍ أو صَلاية حَنْظَلَ

الانفراد كقول الشاعر

بَكَرْنَ بُكُوراً واستحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فهنَّ ووادى الرس كاليدِ للفمِ

واذا كان تشبيه كل جزء بنظيره على سبيل الانفراد فهو تشبيه المفرد بالمفرد كقول امرئ القيس

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابِساً لدى وَكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالى

والى تشبيه مفرد بمركب كقول القائل

تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرَةَ رَوْقِهِ قلمٌ أصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها

وأما تشبيه المركب بالمفرد فكقول أبى نواس

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الخمرُ فتشابها فتشاكلَ الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدَحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

فتشبيه المفرد بالمركب والمركب بالمفرد أيضاً راجع الى تشبيه المفرد بالمفرد والمركب بالمركب ولا معنى لتخصيص أحدهما دون الآخر بالذكر كما سبق فى الصورة بالمعنى والمعنى بالصورة .. وأيضاً فكل متشابهين اذا شبهت أحدهما بالثانى فلا معنى لامتناع تشبيه الثانى بالاول من الوجه الذى وقع التشبيه به بينهما

ومن التشبيه تشبيه حالة الشئ بحالة له أخرى ومن أحسنه تشبيه وجود الحالة بعدمها كقول امرئ القيس

كأنىَ لمْ أركبْ جواداً للذةٍ ولمْ أتبطَّنْ كاعباً ذاتَ خلخالِ

ولم أسبأ الزِقَ الروىَّ ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى كرَّةً بَعْد إجفال

وقد أورد بعض الناس على امرئ القيس فى هذين البيتين وقال ما ناسب بين أنصافهما ولو ناسب لقال

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى كرّى كرَّةً بعد إجفال

ولم أسبأ الزقَّ الروىَّ للذة ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخال

جامعاً بين ما يتعلق بركوب الخيل وبين ما يتعلق بالشراب والنساء .. والجواب عن ذلك انه وان كان بين ما أورده من الترتيب مناسبة فان بين ترتيب امرئ القيس

مناسبة وهي انه جمع بين لذتي ركوب الخيل وركوب النساء وبين سباء الخمر للكرم وكر الخيل للشجاعة وفيه زيادة في المعنى فان ركوب الخيل للذة لم تحصل من ذلك الترتيب ومن المعلوم ان سباء الزق لابد فيه من اللذة فلا حاجة الى قوله فيه للذة .. ومن ذلك قول عنترة وفيه زيادة لطيفة

وكأنَّ رُبّاً أو كُحيلاً مُعقَداً حَشَّ الوقودُ بهِ جوانبَ قُمقُمِ
يَنباعُ مِن ذِفرَى غَضُوبٍ جَسرَةٍ زَيَّافةٍ مثلِ الفنيقِ المُكدَمِ

وقد شبه فيه حالة العدم بحالة وجود فهو عكس ماتقدم وهو من مقلوب التشبيه فان مراده تشبيه الذي ينباع من ذفرى الناقة بالرب والكحيل

ومن التشبيه نوع مستهجن لبعد الشبه كقول المتنبي

لساحيهِ على الأجداثِ حَفْشٌ كأيدى الخيلِ أبصَرَتِ المخالي

فما أبعد هذا الشبه وأسمج هذه الالفاظ مع جمعه بين الحوشى فى أول البيت والمبتذل فى آخره . ومن التوسعات فى اللغة العربية أمور .. منها الرجوع من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة .. فمن ذلك ماجاء فى فاتحة الكتاب من أولها الى مالك يوم الدين متعلق بالغائب وهو حمد الله وتعظيمه بذكر أسمائه العظام وما بعد ذلك رجع فيه من الغيبة الى الخطاب ولا يخلو شئ من ذلك مع توسع العرب فى كلامهم عن معان لطيفة وفوائد فمراد الله تعالى أن نصلى بالفاتحة فابتدأ بتعظيمه على سبيل الغيبة فان فى ذكر الحاضر بألفاظ دالة على الغيبة إشعارا بتعظيمه ثم انتقل من الغيبة الى مخاطبة الحاضر إشعاراً بالقرب المستحق من الحمد والتعظيم مع التوسط فى الأمر بالإخبار بعبادته والاستعانة به فقال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين ثم انتقل من ذلك الى السؤال والدعاء بقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة وفى مابقى من السورة اضافة النعمة الى ضمير المخاطب وهو من الحضور فقال الذين أنعمت عليهم ووصفهم بغير المغضوب عليهم على سبيل الغيبة ولم يقل غير الذين غضبت عليهم أدباً مع الله تعالى فى انه لم يضف الغضب اليه مخاطباً .. ومن ذلك قول عنترة

أمِنْ سُهيَّةَ دمعُ العَينِ تَذريفُ لوْ أنَّ ذا مِنكِ قبلَ اليومِ معروفُ

تجلّلتنيَ إذ أهوى العصا قبلى ... كأنها صنمٌ يُعتادُ معكوفُ

لما تعجب منها ذكرها على سبيل الغيبة مخاطباً لنفسه ثم انتقل الى خطابها تقرباً اليها ثم انتقل الى الثناء عليها وذكر احسانها اليـه على سبيل الغيبة افشاء لذلك وبثاله ولو خاطبها به لجاز أن يكون مقتصراً على ذلك وهذا من أفصح كلام البشر وأبلغه وألطفه بياناً ٠٠ ومن الانتقال من الغيبة الى ضمير المتكلم ومنه الى الغيبة قوله تعالى ولقد أخذنا ميثاقَ بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنيْ عشر نقيباً وقال الله انى معكم فانتقل من الغيبة الى ضمير نفسه ثم من ضمير نفسه الى الغيبة ولو قال وبعث منهم لكان الظاهر فى هـذه الواو أنها واو العطف وفى قوله وبعثنا ظهرت المخالفة (للمخالفة) بين الغيبة والحضور فيظهر حينئذ ان الواو للحال وحينئذ يكون معنفاً لهم بذكر نعمه عليهم مع مخالفتهم ونقضهم الميثاق ثم انتقل الى الغيبة بقوله وقال الله انى معكم مبيناً ان هذا القول مع أخذ الميثاق وليس معطوفاً على الحال التى امتن بها وذلك مما ينبغى أن يحافظوا على الميثاق لاجله فمحافظتهم على الميثاق تجب لوجهين ٠ أحدهما منته عليهم ببعث النقباء منهم والرفع لقدرهم بذلك ٠ والثانى إعلامهم بانه معهم ومنه قول الغطمَّش

اذا متُّ فابكى يا عُلىَّ وأعولى ... على هالكٍ جَلدٍ أجلَّ وأوجَعُ

واغنو اذا ما مالَ مثْـلَ غنائه ... ولا يُحرِز الاعداء ما كنتُ أمنعُ

سَيفرحُ إنْ ماتَ الغطمَّشُ عُصبةٌ ... اذا فاءَ مِنْ رَهطِ الغطمَّشِ رُضَّعُ

فيافرحةً مايفرحن عدوُّنا ... اذا ماجرَتْ فوقى أما لِيسُ بلقَعُ

حياته تناسب الحضور وموته يناسب الغيبة فلذلك جعل كلامه فى حياته حاضراً وما يكون بعد موته من فعل غيره وقوله غائباً وقوله ـ أجل وأوجع ـ بالرفع خبر عن موته وحذفه لدلالة اذا مت عليـه والمفضل عليـه أيضاً محذوف معناه موته أجل الاشياء وأوجعها وسياق الـكلام يدل على ذلك أيضاً

ومن ذلك الانتقال من ضمير الواحد الى ضمير الجمع اذا كانا عائدين الى المبهم كمن وما بمعنى الذى وشرطاً واستفهاماً فان ابن عطية والزمخشرى وغيرهما قالوا انه اذا ابتدئ بالمفرد منهما جاز أن يؤتى بعده بضمير الجمع واذا ابتدئ بضمير الجمع لايجوز الاتيان

بضمير المفرد بعده وأقول ان ذلك لأن العائد اليـه مفرد فى اللفظ ويحتمل مدلوله الجمع فاذا أعاد اليـه الضمير المفرد فهو باق على ما كان عليـه من الابهام فيجوز أن يؤتى بما يحتمله اللفظ واذا أتى بضـمير الجمع فقد تعين ان مدلوله الجمع فلا يعود الى المفرد وكتاب الله مشحون بذلك ومنه قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنـين افرد الضمير فى يقول وأتى بعـده بضمائر الجمع وما أتى بعـد ذلك بينها ولا بعدها بمفرد وهـذا الامتناع انما يكون عند إرادة الحقيقة وأما لو تجوز فلا امتناع فيكون حينئذ هـذا التعليل الأولوية ولذلك كثر فى القرآن العزيز لانه لفصاحته لا يأتى الا بالاولى وقـد جاء قوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق فقد أتى بالضمير فى يقول مفرداً وأتى بعده بضمير الجمع فى قوله ربنا وآتنا وبضمير المفرد بعـدها فى قوله وما له فى الآخرة من خلاق .. فلو قيل ان من يقول واحد ودعا له ولغيره على سبيل الجمع فلم يتعين الجمع بذلك فأتى بالمفرد بعده قلنا الامر بخلاف ذلك لان البعض من الناس الذى يقول ليس بواحد فقط بل آحاد فيكون الضمير عائداً اليهم وانما أتى بالمفرد ههنا لـكون المعبر عنـه بمن بعضاً والبعض واحد وان كان محتملا للجمع ولا تنتفى البعضية لذلك فأعاد عليه الضمير المفرد لانه بعض وان وقع على كثير .. ومن ذلك الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر وبالعكس تعظيما للمخبر عنه بالمستقبل وحطا بقدر المأمور لان المأمور مستنقص بالأمر ومنه قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام إنى أشهدُ الله واشهدوا أنى برىء مما تُشركون ولم يقل وأشهدكم تنقيصاً لهم وتعظيما لله ومثله عكس ذلك وهو قوله تعـالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ولم يقل وليرالله تعظيما لله ولرسوله وللمؤمنين

ومن ذلك الرجوع من مخاطبة الواحد الى مخاطبة الاثنين والى مخاطبة الجمع ومن مخاطبة الاثنين الى مخاطبة الواحد والى مخاطبة الجمع ومن مخاطبة الجمع الى مخاطبة الواحد والى مخاطبة الاثنين .. وهذه ستة أنواع ولا يمكن غيرها . مثال الاول قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا عمـا وجدنا عليه آباءنا وتكونَ لـكما الـكبرياء فى الارض وما نحن

لكما بمؤمنين خاطبوا موسى أولا لانه الاصل فى الرسالة وهارون وزيره ثم جمعوا بينهما فى الخطاب لاشتراكهما فى الرسالة وان كان موسى هو الاصل تنبيهاً على مرتبتيهما • ومثال الثانى قوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه الرسول وهو الذى يخاطب الناس عن الله ثم جمع بينه وبين الأمة لأن الحكم شامل له ولهم • ومثال الثالث قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى لانهما خاطباه جيعاً بالرسالة فأجابهما أولا ثم انتقل الى موسى عليه السلام لانه صاحب الآيات والمعجزات • ومثال الرابع والخامس قوله تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين خاطب تعالى موسى وأخاه لانه أوحى اليهما معاً وان النبوة برسالتهما ولهما الحكم فى ذلك ثم جمع بينهما وبين قومهما لان كل واحد منهم مأمور بان يجعل بيته قبلة ثم أفرد موسى عليه السلام بقوله وبشر المؤمنين تنبيهاً على مرتبته من الرسالة وانه الأصل فيها • ومثال السادس قوله تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان خاطب فئتى الجن والانس على سبيل الجمع لتعجيز كل فرد فرد منهما ثم عقبه بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان لأن تكذيب واحد من الطائفة منسوب اليها لان جميع الطائفة مأمور برده عن التكذيب ولان ذلك تقريع لكل طائفة لان التكذيب فى غريزتها وتنبيهاً على ان التكذيب فى الجن أكثر منه فى الانس وأفحش لانه ينبغى أن يكون فيهم أقل لبساطة خلقهم والبساطة مظنة العلم ولكونهم يرون الانس من حيث لا يرونهم ولكونهم أقدم وجوداً من الانس فاللائق بهم الشكر بالتصديق لا التكذيب ولذلك قدمهم على الانس فى الذكر

ومن ذلك استعمال الفعل الماضى فى موضع الفعل المضارع واستعمال الفعل المضارع فى موضع الفعل الماضى وفيه على كل حال توكيد لوقوع الفعل وتحقيقه أما وضع الماضى فى موضع المضارع أما الحال فلا بد أن يكون قد مضى منه جزء ما فاذا أطلق عليه الماضى بذلك الاعتبار كان قريباً من الحقيقة واشعاراً بتمامه وصحة

وقوعه وأما المستقبل فوضع الماضى فى موضعه يدل على تحقق وقوعه وقربه من الحال كقوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهذا دليل على قربه من زمن الحال ومنه قوله تعالى ويوم نسير الجبالَ وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً يوم تسيير الجبال مستقبل والحشر فيه فأتى بلفظ الماضى لتحققه فكأنه قد وقع ويجوز أن تكون الواو حالية وقد حذف معها قد فيكون المعنى بقوله يوم نسير الجبال ليس يوم الحشر بل يكون متأخراً عنه والمراد بقوله يوم زمان نسير الجبال لايوم القيامة جميعه وأما وضع المضارع فى موضع الماضى فلايخلو عن أن يكون حكاية الحال وقد يريد المخبر بذلك أن يخيل للسامع الصورة الحالية كأنه يراها كقوله تعالى وإذ غدوتَ من أهلك تبوء المؤمنينَ مقاعد للقتال فهذه حكاية الحال الواقعة فى الماضى ولو جيء بهذا ماضياً لاحتيج معه الى واو العطف فكان غدوت وبوأت فلا يتحقق منه الحال لاحتمال كون كل واحد منهما وحده وفى زمن غير زمنه والتخييل للسامع مع ذلك كقول تأبط شراً

فانى قدْ لقيتُ الغولَ تهوى ... بسَهبٍ كالصحيفةِ صحْصَحانِ
فأضرِبُها بلا دَهَشٍ فخرَّتْ ... صريعاً لليدَينِ وللجِرانِ

وقد يقع الماضى والمضارع على صورة الاخبار والمراد الامر أو النهى كقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وقوله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأُنثيين وقوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً وقد يكون ذلك بالاسم كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وكقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وكقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وكل ذلك لتوكيد الأمر والجزم به لان الامر انشاء والخبر واقع ويستعمل جميع ذلك على سبيل الانشاء كمن يقول فى الطلاق طلقتك وأطلقك واطلقى مع نية انشاء الطلاق وأنت طالق

ومن البيان ارادة نفى الشئ بنفى غيره ونفى الشئ باثبات غيره واثبات الشئ باثبات غيره واثبات الشئ بنفى غيره وقد يكون المراد نفيه أو اثباته واجب النفى أو الاثبات أو جائز النفى والاثبات والقرينة تدل على ارادة النفى أو ارادة الاثبات . فمثال الاول

مع جواز عدم المراد ما نقل عن عليّ عليه السلام انه قال فى وصف مجلس النبى صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته أى لا تذاع بمعنى انه لافلتات له فلا تنثى وقرينة الحال وهى العلم بعصمته تبين ذلك ومن ذلك قول الشاعر

* على لاحِبٍ لا يُهتدى بمنارِهِ *

ومراده لا منار له فيهتدى به .. ومن ذلك قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله نفى العاصم فانتفى المعتصم وجوباً وهو المراد وقد سمى هذا النوع عكس الظاهر وليست تسمية حسنة بل هو مراد الظاهر عليه .. ومما يلتحق بهذا قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها جاء النفى هنا لمقاربة الرؤية وهو الاصل فى جميع الكلام لكن العرف فى كاد أن اثباتها يدل على مقاربة الرؤية فلا رؤية ونفيها خصه العرف بمقاربة عدم الرؤية وهو الظاهر . والأمر فى الآية على الأصل وليس على الظاهر .. ومثل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه العرف فى لو دلالة الامتناع للامتناع ومدح النبى عليه الصلاة والسلام له قرينة تدل على عدم عصيانه فيكون لو للتلازم فقط ويكون المعنى لو لم يخف الله لم يعصه فكيف وقد خافه . ومثال الثانى وهو نفى الشئ باثبات غيره قول الشاعر

أبلغ الحارثَ بنَ ظالمٍ المو … عدَ والمنذرَ النذورَ عليّاً

* إنما تقتلُ النيامَ *

والمراد به انك لا تقتل غير النيام للحصر فى إنما ثم وكده بتمام البيت وهو قوله

* ولا تقتلُ يقظانَ ذا سلاحٍ كميّاً *

وفى قوله — لا تقتل — نفى يدل على أنه يقظان ذو سلاح كمى هذا مثال الجواز

وأما الواجب من ذلك فان تثبت أحد النقيضين فينتفى الثانى ومساويه أو تثبت أحد الاضداد فينتفى ما عداه كقولك فى اثبات أحد النقيضين — الفلك متحرك — فانتفى النقيض وهو لا متحرك ومساويه وهو الساكن . وفى اثبات أحد الاضداد — الدم أحمر — فينتفى عنه جميع الألوان . ومنه قوله تعالى — قل هو الله أحد — انتفى باثبات الأحدية لا أحدية وانتفى مساوى لا أحدية وهو الكثرة . ومن اثبات أحد الأضداد قوله

تعالى - فاذا انشقتِ السماء فكانت وَردةً كالدِّهان - ومثال الثالث وهو اثبات الشيء باثبات غيره قولك - الشمس طالعة فالنهار موجود - الأول ملزوم والثاني لازم فيجوز أن يكون أمراً منفياً فيكون مثل ذلك قولك - الشمس طالعة فالليل غير موجود - ولذلك انحصرت القسمة في الاقسام الاربعة المذكورة • ومثال الرابع وهو اثبات الشيء بنفي غيره قولك - الشمس ليست طالعة فالليل موجود أو فالنهار غير موجود - وهو كالثالث في الملازمة وهذا مبين في ذكر الشرط والجزاء واللازم والملزوم

ومما استعملته العرب تارة للبيان وتارة للضرورة تذكير المؤنث وتأنيث المذكر حملا على المعنى • فمن ذلك اثبات تاء التأنيث وحذفها اذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقي كقولهم طلع الشمس وطلعت الشمس لأن الأصل التذكير والتأنيث اصطلاحي فاذا قصد أحد المعنيين لغرض من الاغراض استعملت اللغة التي تناسبه

أما اثبات التاء فأمثلتها كثيرة لانها المصطلح عليه ومنها قوله تعالى - وجاءت سيّارةٌ - وأما حذفها فكقوله تعالى - فمن جاءه موعظةٌ - وفي مثل هذا يقال لم حذفت التاء فيجاب انها حذفت ارادة للوعظ الذي هو اسم الجنس لاشتماله على القليل والكثير رفعاً لتوهم من يتوهم ان قوله له ما سلف لمن اتعظ بالقليل وليس لمن اتعظ بالكثير • ومنه قول كعب بن زهير

* وقد تلفعَ بالقُورِ العَساقيلُ *

لأنّ الجمع يؤنث ويذكر فمن ذكر نوى الجمع ومن أنث نوى الجماعة وانما ذكرها هنا لاقامة الوزن وليظهر المعنى الذي ألجئ اليه من القلب لان التلفع للقور وقد نسبه الى العساقيل والعساقيل جمع مذكر والقور جمع مؤنث فذكر تنبيهاً على ذلك •• ومن ذلك الاشارة بالمذكر الى المؤنث كقوله تعالى - فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي - قوله - بازغة - تأنيث للشمس كلام الله تعالى جار على أصل اللغة وقوله - هذا ربي - حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام وهو يخبر عن الربّ الذي شأنه أن يعظم فلا يليق به التأنيث • ومن ذلك قول مدرك بن حصن الاسدي

فانْ وصَلتْكما ليلى فاني　　أرى في الحقّ أن تَصِلَ الوَصولا

وانْ آنستما بخلاً فلسنا　　بأولِ من رجا حَرَجا بخيلا

ـ الوصول ـ وصف يشترك فيه المؤنث والمذكر وقد عبر به ههنا عن المؤنث وليس من هذا الباب وقوله ـ حرجا بخيلا ـ عبر عن المؤنث بالتذكير حملالذلك على العموم وأما تأنيث المذكر فكقوله تعالى ـ مَن جاء بالحسنةِ فله عشرُ أمثالها ـ وحسن ذلك لما كانت الامثال حسنات حملا على المعنى كأنه قال عشر حسنات وترجح هنا الحمل على المعنى على الحمل على اللفظ لان مثل الحسنة قد لايكون حسنة لأن المماثلة قد تكون فى وصف ما غير ذلك • وقد يقال هذه السيئة مثل الحسنة لانه اتفق لها بالعرض ان خلصت مما هو أعظم منها من السيئات فأنث جامعاً بين الامثال والحسنات ليظهر أن المماثلة فى الجنس • ومنه قول عمر بن أبي ربيعة

وكان مِجنِى دُونَ مَنْ كنتُ أتقى　　ثلاثُ شخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ

أنث العدد والمعدود هو الاشخاص وواحدها مذكر لتصريحه بأنوثتها حين قال ـ كاعبان ومعصر ـ وقد جاء عن العرب

قالتْ لهُ وهو بعيشٍ ضَنكِ　　إنْ تُكثِرِى عذلى أُخلّ عنكِ

قديتوهم أنه من هذا الباب وليس منه وانمامعنى البيت إن حكت كلامه حين عذلته على اضاعة ماله فى حال يساره فكان قوله لها حينئذ * ان تكثرى عذلى أخلّ عنكِ * فلما افتقر حكت قوله تهكما به وتذكيراً له بمخالفتها وتنديماً له على ذلك • وقلمايعثرعلى معنى هذا البيت مع أنه لا معنى له غيره

ومن البيان الاتيان بضمير الواحد فى موضع ضميرالجماعة والاتيان بضميرالجماعة فى موضع ضمير الواحد لغرض وهذا كثير الوقوع بعد الاسماءالمبهمة التى ألفاظهامفردة ومعانيها تحتمل الجمع والافراد ـ كمن . وما ـ وقد تقدم ذكرهما ـ وكل ـ يقع بعدها كثيرا المفرد والجمع ظاهراً ومضمراً كقولك ـ كلهم كريم . وكلهم كرام . وكل القوم أحبه • وكل القوم أحبهم ـ وذلك لان كلاًّ تقتضى الجمع من حيث هو جمع وتقتضيه واحداً واحداً • والالف واللام للجنس يفرد معها اسم الجنس ويجمع كقولك ـ الرجل خير من المرأة . والرجال خير من النساء ـ وذلك لان الالف واللام تدل

على الجنس من حيث جملته ومن حيث افراده كـكل ومن حيث طبيعته أيضاً فان الطبيعة واحدة ومهما جاء من ذلك وفى الكلام مايقتضى جمعه وإفراده فأتى بأحدهما ارادة لما يقتضيه كان بيانا • وأما ما جاء من ذلك وليس فى الكلام مايقتضيه فليس من البيان وهو مما ينبغى أن يجتنب ومجيئه إما أن يكون لضرورة أوشاذا • وأما قول ذى الرمة

ومَيَّةُ أجملُ الثَّقَلَينِ وَجهاً وسالِفةً وأحسنهُ قَذَالا

فان لفظ الثقلين يشتمل على افراد كثيرة ومراده التفضيل على كل فرد فرد ولو قال أحسنهم لاحتمل أن يريد حسنتهم ولا تكون حينئذ افعل التفضيل ولا يجب تفضيلها على فرد فرد فأفرد الضمير لدفع هذا الاحتمال • وأما قول الشاعر

فقلنا ياأسلموا إنَّا أخوكم فقدْ برِئتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدُورُ

فانه يريد أن جملتنا أخ لجملتكم لا أن كلنا اخوة بالنسبة لأفرادنا • ومنه قوله تعالى -إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأَصلِحوا بين أخوَيكم- ولم يقل بين اخوتكم وهذا تحرٍّ للصدق لانه لوقال إخوتكم لاحتمل أن يكون فى الفئة من ليس بمؤمن فلا يكون أخا للمؤمنين والفئة لغلبة المؤمنين فيها أخت للفئة الأخرى وقلما يكون أفراد الفئة كلها متصفة بوصف واحد • وأما قول الشاعر

* ترَى جَوانِبها بالشحمِ مَفتوقا *

فهو عندى من استعمال الشاذ للضرورة • وقد يقال ان مفتوقا حال من الشحم فلابيان حينئذ • وأما قول القائل - شابت مفارقه - من اطلاق الجماعة على الواحـد فهو من المعانى اللطيفـة التى هى من أحسن معانى البيان فانه لو قال شاب مفرقه لاحتمل أن يكون الشيب شعرة واحـدة فقوله - مفارقه - أفاد أن الشيب فى مواضع كثيرة من المفرق فاطلق على كل واحد منها مفرقا على سبيل المجاز ثم جمعها • ومثل ذلك قول الشاعر

ومما شجانى أنها يومَ ودَّعت تولَّتْ وماء العينِ فى الجفنِ حائرُ
فلمَّا أعادَتْ مِنْ بعيدٍ بنظرةٍ إلىَّ التفاتا أسلمتْهُ المحاجِرُ

- والمحجر- مشق الجفنين وهو واحـد وهو فى العينين اثنان فقـد أطلق لفظ الجمع

على المفرد أو المثنى وكلاهما بالنسبة الى المجاز واحد وقوله ـ ماء العين ـ يريد ماء عينها لا ماء عينه فان ماء عينه لا يشجوه تحيره فى جفنه ولا يلزم من ذلك انه لم يبك ولا انه بكى

ومن البيان تقديم ما من شأنه أن يؤخر وتأخير ما من شأنه أن يقدم ومعظم هـذا من أبواب النحو • ومن ذلك ما يلزم وما يجوز فأما ما يلزم فلا مدخل له فى البيان اذ لا يمكن غيره وما يجوز فلا يقدم عليه دون غيره الا لغرض من أغراض البيان وان جاء شئ منه لغير غرض كان قبيحاً ولا يقع الا شاذا • فمن ذلك تقديم المفعول تارة على الفاعل وتارة على الفعل والفاعل والفعل تارة يكون ماضيا وتارة يكون مضارعا وتارة يكون أمراً • وأمثلة ذلك ـ ضرب عمراً زيد . وعمراً ضرب زيد . ويضرب عمراً زيد . وعمراً يضرب زيد . وعمراً إضرب ـ وفاعل اضرب متصل به فلا يحول بينهما المفعول فيلزم مع الامر اذا قدم المفعول أن يتقدمهما معاً الاول • كقوله تعالى ـ وأخذ الذين ظلموا الصَّيحةَ فأصبحوا فى دِيارِهِمْ جاثِمينَ ـ قدم المفعول هاهنا للاهتمام بمجرد العذاب الواقع بالمعذبين لا الصيحة فان العذاب يقع بالصيحة وبغيرها ولا يلزم العذاب بالصيحة • الثانى كقوله تعالى ـ فكلاً أخذنا بذنبه ـ وقدم هاهنا المفعول لمثل ما تقدم فى الاول فان المفعول هاهنا أهم من الفعل لذكره متنوعا والأخذ عبارة عن واحد واحد من تلك الانواع • الثالث كقوله تعالى ـ ولو تَرَى إِذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وُجوهَهُم وأدبارهم وذوقوا عذابَ الحريق ـ وقدم هاهنا لأن الذى الاهتمام بالاخبار عنه والمعظم وقوع التوفى بهم لا وقوعه من الملائكة • الرابع كقوله تعالى ـ إياكَ نعبُدُ وإياكَ نستعين ـ وقدم ها هنا تعظيما للمعبود دون العبادة واشعاراً بحصر العبادة منهم له ولو قال نعبدك ونستعينك لم يفد ذلك • الخامس كقوله تعالى ـ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ـ وقدم ههنا لما ذكر فى الرابع

ومن التقديم تقديم الخبر على المبتدأ ويكون ذلك عند الاهتمام به ويبقى المبتدأ مرفوعاً على الابتداء فى أظهر المذاهب فان اعتمد الخبر فمنهم من قال يجعل الخبر مبتدأ

والمبتدأ خبراً عنه فيكون قوله أقائم زيد بمعنى أمن قام زيد وهذا أيضاً فى مذهب الكوفيين واذا لم يعتمد فى قولنا قائم زيد يكون زيد فاعلا عند الكوفيين وهو مبتدأ عند البصريين ولولا هذا القول لقلنا ان المبتدأ متى أخر صار خبراً أو فاعلا كما ان الفاعل اذا قدم صار مبتدأ لان الفاعل والمبتدأ كل واحد منهما هو المخبر عنه فيقدم الفعل على الفاعل لان الاهتمام به شديد لانك اذا قلت قام كان اهتمامك بقيام الشخص المخصوص فيكون الفاعل كالتتمة له فلا يجوز تقديمه بخلاف المبتدأ فانه لا يلزم فيه مثل ذلك اذا تأخر ويتقدم خبر كان على اسمها وهو المبتدأ اجماعاً لتشبيههما بالفاعل والمفعول وكذلك خبر إن اذا كان ظرفاً ويقدم الظرف على عامله ويؤخر للاهتمام به أو بعامله كما اذا قيل هل سافر يوم الجمعة أحد والاهتمام بيوم الجمعة فيقال يوم الجمعة سافر زيد ولو قيل متى سافر زيد كان الاهتمام بسفر زيد فيقال سافر زيد يوم الجمعة وتقديم الحال على صاحبها كتقديم خبر المبتدأ عليه لان صاحب الحال بمنزلة المبتدأ والحال بمنزلة الخبر والصفة لا تقدم لانها من تتمة الموصوف فان قدمت انتصبت على الحال فيحسن حينئذ أن يكون صاحبها نكرة لشبهه بالفاعل ولا يتقدم شئ من التوابع غير الصفة بتأويل ولا بغير تأويل الا المعطوف بالواو لكون الواو للتشريك فقط وفيه ان الواو للعطف فاذا تقدمت على المعطوف عليه حصل اللبس وقد جاء فى الشعر فى قوله * عليك ورحمة الله السلامُ * وفى قول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تَوْلَب

وليلةِ ذى نَصَبٍ بِتُّها على ظهرِ نوّامةٍ ناحلهْ
وبنى الى أن رأيتُ الصبا حَ ومن بينها الرحلُ والراحلهْ

الأظهر انه قدم المعطوف على المعطوف عليه فيكون معنى قوله ومن بينها وبنى ويجوز أن يحمل على زيادة من فيكون التقدير وبنى وبينها وليس عندى بحسن .. وأمثلة ذلك منها تقديم الخبر كقوله تعالى ـ فيه هدىً للمتقين ـ اذا كان الوقف على لا ريب .. ومنها تقديم الظرف على عامله كقوله تعالى ـ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مودة ـ ومنها تقديم خبر كان على اسمها كقوله تعالى ـ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجه الاهتمام به الالتزام به امتناناً على المؤمنين وتأميناً لهم وتشجيعاً . ومنه قول الشاعر

اذا خَبَتْ اوقدتْ بالندِ فاشتعلتْ ولم يكنْ طيبها قِسطٌ وأظفارُ

وحسن تنكير اسمها لذلك وتقديم خبر كان على كان واسمها معاً كقول الشاعر

فليتَ كَفافاً كانَ خيرُكَ كلُّه وشرُّكَ عنى ماارتوى الماء مُرتوى

وقدم الخبرهنا لان الاهتمام بأن يكفى الشرمع ان يحرم الخير وذلك أدل دليل على طلبه الكفاف .. ومنها تقديم خبران على اسمها ولا يجوز الا اذا كان ظرفا أو جاراً ومجروراً ولايجوز تقديمه ولا تقديم الاسم عليها البتة وذلك كقوله تعالى - إنّ لدينا أنكالا وجحيما - وكقوله تعالى - ان الينا إيابهم - والتقديم فيهما للاهتمام المذكور لما فيه من تعظيم النكال والاياب اذا كانا لديه واليه .. ومنها تقديم الحال على صاحبها كقوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعةً أبصارهم وخاشعة سواء تقدم على أبصارهم أوتأخر لا يكون الا حالا لانه نكرة وأبصارهم معرفة وليس كقول الشاعر

* لِميَّةَ مُوحشاً طَللُ *

لانهما نكرتان فلو تأخر موحشاً كان صفة لطلل وتقديم خاشعة لتعظيم خشوع الأبصار وتقديم موحشاً لذلك ولاقامة الوزن أيضاً ويجوز تقديم الحال على عاملها اذا كان قوياً أى فعلا أو حروف فعل كقولك - را كباً جاء زيد - ولا يجوز تقديمه على عامله الضعيف وهو الذى ليس فيه حروف الفعل فيقال - فى الدار جالسا زيد - ولا يقال - جالساً فى الدار زيد - وأما تقديم الحال على عاملها كقوله تعالى - كيف تكفرون بالله - قدم لتضمنه معنى الاستفهام إذ له صدر الكلام ولانه لو أجرى الاستفهام على تكفرون لوجب أن تأتى الحال مرددة ولا تعم عموم كيف .. ومن التقديم تقديم المستثنى على المستثنى منه كقول الشاعر

* ومالىَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعةٌ *

وتقديم المستثنى على عامله وهو كقولك - إلا زيداً جاء القوم - وهذا لايجوز إلا عند بعض الكوفيين ولا أعلم بل الظاهر انه لم يوجد له فى كلام العرب نظير .. ومن التقديم والتأخير ماجاء مفسود الترتيب لأجل الوزن أو لغرض غير ذلك وذلك مما

يستقبح وليس ببيان .. وأمثلته كثيرة ومن أبشعه قول الشاعر

عُقَّ آبَ الوَكْرِ عن صيدِ الحُبارى   الى زيداً أخاك فُرَيخُ نسرِ

تقديره — عق زيداً أخاك عن صيد الحبارى آب الى الوكر فريخ نسر — وفى هذا البيت زيادة عن التقليب انه نقل حركة همزة آب الى القاف قبلها وحذفها تخفيفا وحذف أيضاً فقد قبل آب وهى مرادة .. ومن التقديم تقديم المستفهم عن حاله فعلا كان أو غير فعل على الحال أو تقديم الحال عليه وأيهما قدم كان هو المستفهم عنه فاذا قلت أزيد قام كان القيام معلوماً والشك فى فاعله هل هو زيد أو غيره واذا قلت أقام زيد كان الشك فى الفعل وحينئذ قد يكون الشك فى الفعل المضاف الى الفاعل المذكور فيكون حينئذ الشك فى الجملة ولا يقع فى الاستفهام العارى عن الانكار والتقرير الذى هو على سبيل الاستعلام فقط الا على هذه الصورة ولا فرق فى ذلك بين الماضى والحال والمستقبل ومثاله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام — قال ما خطبكما — فانه سألهما عن خطبهما لانه لهما أو لغيرهما وهو أمر عام لماضى أمرهما وحاله ومستقبله .. ومثال تقديم صاحب الحال قوله تعالى حكاية عن فرعون — قال من ربكما ياموسى — كان فرعون يعلم أن موسى عليه السلام يعبد رباً من حيث انه يدعو الى عبادته فسأله عن الرب المعبود ولا يقدح فى ذلك كون فرعون كان متجاهلا فان المعنى على أن يكون السؤال على سبيل الجهل من جاهل أو عالم

واذا كان الاستفهام على سبيل التقرير فالذى قصد التقرير عليه هو الذى يقدم سواء كان ماضياً أو حالا أو مستقبلا ولا بد أن يكون الماضى والحال واقعين والمستقبل فى حكم الواقع كقوله تعالى حكاية عن قول قوم نمرود — أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم — فانه كان سؤالهم عن الفاعل فقدموه لأن الفعل كان واقعاً محسوساً وكان الجزم أو الراجح انه الفاعل فكان سؤالهم له على سبيل التقرير لا على سبيل الاستعلام . واذا كان التقرير لصاحب الحال فلا بد أن تكون حاله واقعة فلا يكون الا فى الماضى أو فى الحال .. وأما المستقبل فقد يترجح وقوعه أو ايقاع فاعل مّا له فان ترجح ايقاع الفاعل له قدم صاحب الحال وان ترجح وقوع المستقبل لا ايقاعه من المعين قدم لأنه المقرر

عليه كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لاخوته ـ قال ائتونى بأخٍ لكم من أبيكم ألاَ ترَوْنَ أنى أُوفِ الكيْلَ وأنا خيرُ المنزِلين ـ واذا كان الاستفهام على سبيل الانكار فان كان المنكر الفاعل قدمه وان كان الفعل قدمه وقد يكون الانكار لأن الفاعل أقل من أن يصل الى هذا الفعل أو أجلّ من أن يفعله • وقد يكون أيضاً الفعل أقلّ من أن يفعله هذا الفاعل المعين أو أجل من أن يفعله ويكون الفعل فى كل واحدة من هذه الاحوال ماضياً وحالا ومستقبلا • أمثلة ذلك قوله تعالى عن الماضى ـ قُل آللهُ أذِنَ لكم ـ قد قدم فيه صاحب الحال لأنه المنكر أن يصح منه هذا الفعل لعظم الفاعل • وقوله تعالى ـ أأنتَ قلتَ للناس اتخذونى وأمىَ إلهيْن من دُون الله ـ أيضاً الفعل ماض وهو ممن لا ينبغى له هذا الفعل لعظم الفعل ومما الحال فيه حاضرة قوله تعالى ـ قل أذلك خيرٌ أمْ جنّة الخُلد التى وعدَ المُتقون ـ هذه الحال حاضرة جزما وان لم تكن بالفعل المضارع وقد أنكر عليهم فى هذا المثال جعل المشار اليه بذلك خيراً من الجنة وهو يقل عن ذلك وجعل الجنة دونه وهى أعظم من ذلك فى المثال الواحد الأمران •• ومما الحالُ فيه مستقبلة قوله تعالى ـ أفحكم الجاهلية يبغون ـ انكر أن حكم الجاهلية مما ينبغى لحقارته وقوله تعالى ـ أليس الله بعزيز ذى انتقام ـ أنكر عليهم سلب العزة والانتقام وهو منكر فى جميع الأحوال الماضى والحاضر والمستقبل وانكاره ذلك لعظم الله •• ومما قدم فيه الفعل الماضى قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام ـ أقتلت نفساً زكية بغير نفس ـ تعظيما للفعل لما يترتب عليه من العقاب ومما جاء من ذلك وقد حقر فيه الفعل عن بلوغ تلك الدرجة قوله تعالى حكاية عن قول فرعون قال ـ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى ـ فانه صغر مجىء موسى عليه السلام عن أن يبلغ اخراجهم من أرضهم •• ومما جاء والحال فيه حاضرة مقدمة معظمة قوله تعالى ـ أتقولون على الله مالا تعلمون ـ ومما جاء والحال فيه حاضرة مقدمة محقرة قوله تعالى ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ ومما جاء والحال فيه مستقبلة مقدمة معظمة قوله تعالى حكاية عن المؤمن ـ أتقتلونَ رجلا أن يقول ربى الله ـ ومما جاء والحال فيه مستقبلة مقدمة محقرة قوله تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ـ

ومن أدوات الاستفهام ـ ما ـ وقد جاءت تعظيما للمستفهم عنه فى قوله تعالى ـ الحاقة ما الحاقة وماأدراك ما الحاقة ـ وفى غير موضع وقد عبروا عن مثل هذا المعنى بالتعجب فان مايتعجب منه يستفهم عن سببه ووجوده وهذا المعنى ليس استفهاماً محضاً ولا على سبيل الانكار والتوبيخ ولا على سبيل التقرير فهو معنى غير ما ذكر من المعانى .. ولقائل أن يقول ان ماهنا ليست استفهامية وانما هى نكرة غير موصوفة كما فى قولك ما أحسن زيداً وجىء بها فى غاية التنكير والابهام ليعظم أمر خبرها عند السامع

ومن البيان الاعتراض وهو الفصل بكلمة أو أكثر مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه أولا بين ما من شأنه الاتصال فى الكلام وهذا منه مايجوز ومنه ما لا يجوز وليتسلم ذلك من علم النحو وما يجوز من ذلك منه مايحسن ومنه مايقبح ومنه ما لا حسن فيه ولاقبح .. فالذى يحسن من ذلك مايكون توكيداً لمعنى الكلام أو تنبيهاً على معنى زائد يحسن الكلام به ويبلغ من سامعه المبلغ الذى لا يبلغه الكلام بدونه .. فمن ذلك قوله تعالى ـ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم ـ اعترض بين القسم وجوابه بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم واعترض بين القسم وصفته بقوله لو تعلمون تعظيما للمقسم به وتحقيقاً لعظمه بكلمة إن ثم فصل بين الصفة والموصوف بقوله لو تعلمون اعلاماً لهم بان لهذا المقسم به عظمة لا يعلمونها وان جل مايعلمون من عظمته وهذا مما يتبادر الى الاذهان اعجازه ويعظم عندها محله .. ومن الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه قوله تعالى ـ وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين ـ فى هذا الكلام ست جمل السادسة معطوفة على الأولى والثانية واعترض بينهما بثلاث جمل وهى من قوله وغيض الماء الى قوله على الجودى والثالثة معطوفة على الأولى واعترض بينهما بقوله وقضى الأمر وانما قلنا ان الثلاثة المتوسطة معترضة لمناسبة عطف قيل على قيل وانما قلنا أيضاً ان الثانية منها معترضة بين الأولى والثالثة لان الماء اذا غيض استوت السفينة على الأرض وليس بينهما مايقتضى فصلا فكان قوله تعالى وقضى الأمر بياناً لتمام إجابة دعوة نوح عليه السلام والاعتراض الثانى هو آخر الأمر لان الجملة السادسة فى سياق الاولى والثانية

والخامسة فى سياق الثالثة والرابعة آخر كل ذلك لان انقضاء الأمر يكون بعد تمامه والاعتراض بقوله تعالى وغيض الى قوله الجودى بيان لان هـذا الأمر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به بعدها لكان الظاهر تأخره فبتوسيطه ظهر كونه غيرمتأخر .. ومثل الآية الأولة قول النابغة

لَعَمْرِي وما عُمْـرِى علىَّ بهيّنٍ   لقد نَطَقَتْ بُطْلاً علىَّ الأقارعُ

ومن بديع الاعتراض قول الشاعر عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر

إنَّ الثمانين وبُلِّغْتَها   قد أحوجتْ سمعى الى ترْجُمانِ

ومثل هـذا قد سمى حشواً لان قوله وبلغتها اعترض بها بين اسم ان وخبرها ولا علاقة بينها وبينهما الا انها دعاء للممدوح فقط . ومنه قول المتلمس

ألقِ الصحيفةَ ياطُرَيْفَةُ إننى   أخشى عليك من الحِبَاء النِّقْرِسُ

اعترض بقوله ـ أخشى عليك من الحباء ـ بين اسم إن وخبرها وهو النقرس ومحل أخشى ينبغى أن يكون بعد النقرس وقدمه لانه ما أمره بالقاء الصحيفة إلا لخشيته ثم وكد خشيته بقوله اننى النقرس وهو الداهية الذى لا يكاد ظنه يخطئ .. وأما الاعتراض الذى هو قبيح وليس من البيان فى شئ وانما ذكر فى البيان ليجتنب وأكثر وقوعه لاقامة الوزن للشعر وان جاء منه ما ليس لاقامة الوزن فيكون لسوء خيال المؤلف ونقص فهمه فيقبح هذا النوع على مؤلفه ومنه قول الشاعر

نظرتُ كأنى من وراء زُجاجةٍ   الى الدَّارِ من فَرْطِ الصَّبابةِ أنْظُرُ

اعترض بين الفعل ومعموله وهو ـ نظرت والى الدار ـ واعترض بين كان واسمها وبين خبرها بقوله الى الدار ولو كان الكلام نظرت الى الدار كأنى أنظر من وراء زجاجة لكانَ النظمَ المقصودَ والأبينَ وانما اضطره الى التقديم والتأخير الحاجة الى الوزن مع ان ديباجته فى غاية الحسن مع التشبيه البديع . ومنه قول المتنبى

جَفَخَتْ وهُمْ لا يجفخون بهابهِمْ   شِيَمٌ على الحَسَبِ الأغرِّ دلائلُ

اعترض بين جفخت وبهم وهما عامل ومعمول بقوله وهم لا يجفخون بها مع ان وهم

لا يجفخون بها جملة معطوفة على الجملة الأولى ولا يظهر معناها الا مع كونها فى موضعها وعطفها على جفخت وهو مفرد مما لا معنى له غير إقامة الوزن ٠٠ وأما الاعتراض الذى لاحسن فيه ولا قبح كقول زهير

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ثمانينَ حوْلا لا أبالكَ يسأم

فقوله ـ لا أبالك ـ اعتراض وهذا القسم مذكور فى كتب البيان فلم أهمله اتباعاً لناقله غير انه عندى مما يقل حسنه أو يقل قبحه ولا بد من حسن مّا أو قبح مّا فان قول زهير لا أبالك إمّا أن يخاطب به نفسه أو غيره فان كان الخطاب لنفسه فهو توكيد للخبر لانه يخاطب نفسه لمجبته الحياة مع علمه بالتعب وهو حسن وان كان الخطاب لغيره فهو مما لاحاجة له اليه وقد أساء أدبه على مخاطبه فلا يخلو حينئذ من قبح

ومن البيان الايجاز وهو الاقتصار من اللفظ الدال على المعنى على ما هو أقل من الجارى فى مخاطبات الناس غالباً وهو ضد الاسهاب الذى هو زائد عن الجارى فى مخاطبات الناس غالباً وغاية الايجاز أن يكون اللفظ بحيث لو سقط منه شئ لم يكن الباقى دالا على ذلك المعنى ولو لم يكن كذلك لم يحسن أن يقال فى لفظ انه وجيز وفى غيره انه أوجز منه وهذا مما لاينكره أحد ٠٠ ومما يدل على أن واضع الكلام يؤثر الايجاز فى بعض الكلام على التطويل وضع الألفاظ العامة التى يدل واحدها على الكثير كاسم الجنس وكالأسماء الموضوعة للاستفهام والشرط كمن ٠ وما وكم ٠ ومهما ٠ وكالضمائر التى يدل الحرف منها على الاسم المطول والموصوف بأوصاف كثيرة كقولك لقيت أبا بكر عثمان الذى من شأنه كذا وكذا وطولت فى صفة أحواله ماطولت ثم تقول وسلمت عليه أو قلت له كذا وكذا أغنت الهاء وهى حرف واحد عن اعادة جميع ماسبق ٠٠ وينبغى أن يكون الايجاز فى كل موضع بحسبه كالذى جرت به العادة فى الأشعار وكتب الرسائل الى من يعتمد على فهمه وبلاغته بخلاف الخطب فان المراد بها الموعظة وايصال المعانى الى الجم الغفير من الناس وفى التقليدات ارادة لتفخيم المقلَّد وإشهاره ولا يرد علينا أن يقال فلتكن الخطب بالألفاظ المبتذلة والعامية لدربةٍ للعامة بها لان البيان الذى نحن بصدده انما هو فى كلام العرب ومن جرى على سننهم فى كلامهم

والوجيز من الكلام منه ما يكون مساوياً للمعنى ويسمى التقدير ومنه ما ينقص عن المعنى ومنه ما يزيد على المعنى وهذا لا يكون في غاية الايجاز لكنه وجيز بالنسبة الى ما هو أطول منه مثال المساوى للمعنى قوله تعالى - الرحمن علم القرآن خلق الانسانَ علمه البيان - والذي ينقص لفظه عن معناه ويسمى القصر وهو أنواع منه ما لا يقام فيه عوض المحذوف غيره ومنه ما يقام فيه عوض المحذوف غيره مثال الاول قوله تعالى - وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خُضر وأُخر يابسات - قوله يوسف أيها الصديق يستلزم قبله فارسلوه فجاء يوسفَ فقال له ولما كانت هذه الجمل معلومة بالضرورة وقصة يوسف عليه السلام طويلة حذفت منها هذه الجمل المعلومة بالضرورة تخفيفاً وكان حذفها أحسن من الاتيان بها لان سماعها يشغل عن تأمل ما في القصة مما يحتاج الى تأمله وهو كثير •• ومن الحذف حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه في الاعراب كقوله تعالى - واسأل القرية - ومعناه واسأل أهل القرية وهو معلوم بالضرورة لان القرية نفسها لا تجيب فتسأل ويجوز أن يقال في هذا انه من باب المجاز واطلاق لفظ القرية على جماعة أهلها ووجه المجاز الاشتراك بين القرية وأهل القرية في صورة الاجتماع وقد حذف المضاف وأبقى المضاف اليه على جره • ومنه قول الشاعر

أكلَّ امرئٍ تحسَبينَ امرأً ونارٍ توَقَّدُ في الليلِ نارا

ومثله سيبويه بقوله - ما مثل أخيك ولا عبد الله يقولان ذلك - وقد يحذف مضافات بعضها الى بعض كقوله تعالى - فقبَضتُ قَبضةً مِن أثرِ الرَّسولِ - معناه من تراب أثر حافر فرس الرسول •• وقد يحذف المضاف اليه كقوله تعالى - للهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ - أي من قبل الأشياء ومن بعدها •• ومنه حذف حرف الجر ونصب المجرور أو ابقاؤه على جره نحو - دخلت الدار - وقوله في جواب - كيف أصبحت خيرٍ عافاك الله - ومن ذلك قوله تعالى - ودَخلَ المدينة على حين غفلةٍ من أهلها - والمجرور برب محذوفة في الضرورة على رأي وهو كثير جدا ولم أقف على ذلك الا في السعة • ومنه قول امرئ القيس

وليل كموج البحر مرخ سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلى

.. وقوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول

فى رواية . ومن ذلك حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله تعالى ـ الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ـ أى القوم المتقين والاهتمام بهذه الصفة وشيوعها أغنى عن ذكر الموصوف ههنا فلو ذكر فى مثل هذا الموضع لكان كالفضلة التى لاحاجة اليها وقلما تحذف الصفة لانها لتميز الموصوف عن غيره أو مدحه أو ذمه وهذا من باب الاسهاب فلا يحسن فيه الايجاز .. وربما حذفت لظهور دلالة الكلام عليها ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ لاصلاة لجار المسجد الافى المسجد ـ أى لاصلاة كاملة ومنه المثل وهو قول عمرو بن أخت جذيمة الأبرش ـ خير ماجاءت به العصا ـ ومنه قول الناس فلان رجل يريدون وصفه بالعظم فى الأمور اللائقة بالرجال وكذلك قولهم هو انسان ومن الصفات مالايجوز حذف موصوفها كالجملة تقول ـ مررت برجل قام أبوه ـ ولا تقول مررت بقام أبوه .. ومن الصفات مالا يحذف موصوفها الا لظهور دلالة الكلام عليه ومنه قوله تعالى ـ ومنا الصالحون ومنا دون ذلك ـ فان دون ذلك صفة لقوم وقد حذف لظهور دلالة الصالحون عليه والصالحون صفة لمحذوف غلب حذفه لقيامه مقام الاسم .. ومن ذلك حذف الفاعل واقامة المفعول مقامه كقوله تعالى ـ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ـ اختصارا وتخفيفا اذ لو ذكر لم يزد فائدة وقد يحذف الفاعل لتعظيمه أو لاحتقاره أو لستره أو للجهل وأمثلة ذلك قوله تعالى ـ ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ـ حذف الفاعل تعظيما وقوله تعالى ـ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ـ وحذف الفاعل هنا لاحتقاره وقوله تعالى ـ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ـ فاعل قطع مجهول عند الذين ظلموا ومعلوم عند الله فهو مستور عن الذين ظلموا ولو كان المخبر منهم لكان مجهولا عنده فيتعذر عليه الاتيان به ومن ذلك حذف المبتدا وحذف الخبر فحذف المبتدا كقوله تعالى ـ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم

رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم — معناه هم ثلاثة وهم خمسة وهم سبعة وحذف ذلك تخفيفاً لان الاتيان به لا يزيد معنى وحذف الخبر واجب بعد لولا اذا كان معنياً فى كائن أو موجود كقوله تعالى — لولا أنتم لكنا مؤمنين — ويحذف على سبيل الوجوب كقوله تعالى — أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبهمْ من ذكر الله — الخبر كمن لم يشرح صدره ولا نور له من ربه ودل عليه قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وحذفه تعظيم وتخويف لمن هذه حاله ومن ذلك حذف الفعل وحذف المفعول فأما حذف الفعل كقوله تعالى — وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً — إحسانا منصوب بفعل محذوف يحسن أن يكون والله أعلم ووصاكم . ومثله قول الشاعر

تعدُّونَ عقرَ النِّيبِ أكبرَ مجدِكُمْ بنى ضَوْطَرا لولا الكميَّ المقنَّعا

ويجوز أن يكون قوله تعالى إحسانا مقاما مقام أحسنوا وقد حذف كقولهم سقياً ورعياً وحذف الفعل ليتصل ذكر الوالدين بذكره تعالى تعظيما لأمرهما وإشعاراً بدخول الاحسان اليهما فى حكم القضاء بعبادته .. ومن حذف الفعل وإقامة المصدر مقامه قوله تعالى — فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب — واقامة المصدر فى مثل هذا توكيد له واهتمام بأمره اذ التصريح به استغناء عن الفعل دل على الاهتمام به من كونه مفهوماً من الفعل .. ومن حذف الفعل حذف الفعل المأمور به ومنه قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها — حذف فركبوا وهو مما حذف لانه مفهوم — وأما حذف المفعول فمنه ما يحذف للعلم به اختصاراً للكلام كقوله تعالى — ولما وردَ ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان — حذف المواشى بعد يسقون وتذودان للعلم بها وحسنُ الاختصار هنا لا يخفى على من له أدنى ذوق .. ومنه ما يحذف لان الاهتمام بالفعل لا به تعظيما للفعل كقولهم فلان يضر وينفع ويعطى ويمنع ومنه قوله تعالى — وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيا — ومن ذلك حذف القسم أو جوابه فأما حذف القسم فكثير ومنه قوله تعالى — لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق — تقديره والله لقد أو غير ذلك مما شاء الله أن يقسم به ومنه قوله تعالى — لتجدن أشد الناس عداوة

للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ـ الموجود بعد حذف القسم صورة جوابه لو كان موجوداً ولا يحتمل غير ذلك ووجوده دليل على القسم وفائدته الاختصار فى اللفظ وكون التوكيد أخف ولا يلحق المتكلم به من التشديد مايلحق من تلفظ بالاسم المعظم مقسما به وهذا المعنى شرعى فلا يلحق غير المكلف وهو مما تواطأ عليه العرب فانه شرع فيهم ورضوا به واصطلحوا عليه وأما حذف جوابه فكقوله تعالى ـ لا أُقسم بيوم القيامة ولا أُقسم بالنفس اللوّامة ـ حذف جواب القسم ابهاماً ليكون أشد خوفا للسامع ويجوز أن يكون الجواب المحذوف لأعاقبن من يقول ان عظامه لا تجمع أو لأدخلنه جهنم أو ما أشبه ذلك من عذاب الله وانتقامه الذى لا يحصى ومنه قوله تعالى ـ ق والقرآن المجيد ـ حذف أيضاً الجواب ههنا كما حذف فى لا أُقسم بيوم القيامة الا انه قد جاء فى أثناء السورة جواب قسم محذوف مقترناً بواو العطف وهو قوله تعالى ـ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ـ فهو مشعر بالجواب المحذوف لانه قسم معطوف على القسم الأول ٠ فأما حذف الشرط الذى هو أداة الشرط والجملة الأولى التى تلى أداة الشرط فيحذفان معاً وتحذف الجملة التى تلى أداة الشرط وحدها فأما حذفهما معاً فكقوله تعالى ـ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ـ الشرط المحذوف فى هذه الآية فان عقدتم اليمين وحنثتم والدليل عليه ذكر المؤاخذة فانها ليست على عقد اليمين وانما هى على الحنث وفى قوله فى آخر الآية واحفظوا أيمانكم أيضاً دليل على ذلك وليس فى ذلك شئ هو عوض عن المحذوف وفائدة الحذف ههنا الاختصار وايلاء المؤاخذة والكفارة عقد اليمين التى تتعرض للحنث ليجتنب ذلك فى غير الضرورة ٠٠ وأما حذف الجملة التى تلى الأداة فكقوله تعالى ـ وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ـ المحذوف فتداينتم وهو معطوف على قوله كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً وهو الذى قام مقام المحذوف وأما حذف لو والجملة التى تليها فهما كأداة الشرط والجملة التى تليها ومثاله قوله تعالى ـ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً

لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض • المحذوف هنا لو كان ذلك ويدل عليه اللام التى فى قوله - لذهب - إذ لا محمل لها على غير جواب لو وقد عوض عن المحذوف بكلمة اذاً وانما حذف ههنا تعظيما للتلفظ بذلك فضلا عن اعتقاده وابقاء لنفيه غير مقارن لما يناقضه لفظاً •• ويحذف جواب الشرط وجواب لو وجواب كل ذى جواب كما يحذف جواب القسم ولمثل ما حذف له جواب القسم •• أما حذف جواب الشرط فكقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد • وهو ليجزينكم بكفركم وهو أيضاً مبهم فى أنواع العقاب •• وأما حذف جواب لو فكقوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب • وتقديره لرأيت أمراً عظيما •• وأما حذف جواب لما فكقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين • تقديره شكر الله لهما صدقهما وطاعتهما •• وأما حذف جواب أما واذا فهما شرطان وجواباهما جوابا شرط فحذف جواب أما كقوله تعالى فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم • الجواب المحذوف فقيل لهم أكفرتم بعد إيمانكم حذف وأبقى المقول بدلا عنه وتكون الفاء حينئذ فاء عطف •• وحذف جواب اذا كقوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون • وهو أعرضوا ويدل عليه قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين •• ومن الحذف حذف المسبب والاكتفاء بالسبب وحذف السبب والاكتفاء بالمسبب •• فأما حذف المسبب للاكتفاء بالسبب فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين • اكتفى بالقضاء الذى هو سبب الأمر عن ذكر المسبب وهو ماجرى لموسى عليه السلام وحذف ذلك اختصاراً لعلم النبى صلى الله عليه وسلم بسببه من آيات أخر ولولا ذلك لم يحسن حذفه. ومن ذلك قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • معناه لا تغتروا اذا غرتكم الحياة الدنيا واذا غركم الشيطان فأجرى النهى على الغار والمنهى المغرور وهذا من ألطف الحذف وأحسنه فان المعنى لا يغرنكم فتغتروا واكتفى عنه بلا يغرنكم فقط ومن المعلوم ان الغار ليس بمنهى فلم يبق المنهى إلا المغرور فلو صرح بأمره لكان كالمكرر •• وأما حذف السبب للاكتفاء بالمسبب فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم • المراد والله أعلم فاذا أردت قراءة القرآن لان الاستعاذة إجماعاً متقدمة على القراءة وقد عطفها على القراءة بالفاء التى حكمها التعقيب فدل على ان المعطوف عليه محذوف ا كتفى عنه بقراءة القرآن فالمناسب أن يكون سبب القراءة وهو الارادة وانما حذف ههنا لانه لو قال أردت قراءة القرآن لاحتمل أن يكون القعود لمجرد الارادة وانما هو للارادة مع القراءة واذا قيل استعذ بالله قبل قراءتك احتمل أيضاً أن تكون الاستعاذة للقراءة مرادة كانت أو غير مرادة فلا يسن التعوذ أيضاً فيلزم أن تكون الارادة مرادة ولو تلفظ بها لحصل اللبس لما ذكرنا أولا فلزم أن يحذف معوضاً عنها بسببها وهو القراءة •• ومن الحذف الاضمار على شريطة التفسير ولو قيل الحذف على شريطة التفسير لكان أنسب لان المتعارف من كلام النحاة أن لا يطلقَ الاضمارُ إلا على اضمار الأسماء المفردة ولا سيما ماليس ببارز فانه لا يكون إلا للفاعلِ أو للمفعولِ الذى قام مقام الفاعل واذا كان الضمير المنصوبُ والضمير المجرور ليسا ببارزين قيل فيهما محذوفان فالجمل أولى بذلك •• ومن أمثلته قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلامِ فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبُهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين • تقديره أفمن شرح الله صدرَه فانشرح وأنار كمن قلبه قاس عن ذكر الله أُضمرت هذه الجملة ويدل عليها قوله تعالى فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم ولولا ذلك لم تعلم فكأنها أُضمرت أو حذفت على شرط أن تفسر وسياق الكلام يقتضى أن يكون أفمن شرح الله صدره كمن أقسى قلبه ومثل هذا يقتضى الأدبُ أن يكون منسوباً الى العبد لا الى الرب وأيضاً يكون قد حصل الترديد بين المشروح قلبه والقاسى قلبه ويشبه أن يكون فى ذلك تسويةٌ ما فأفرد القاسى قلبه وذكر على سبيل الذم فقط •• ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى غلامٌ ولم يمسسنى بشرٌ ولم أكُ بغياً قال كذلك قال ربكِ هو علىَّ هينٌ ولنجعلَه آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً • كان جوابها ان الله قادر على كل شئ ويريد ذلك لمعنى كذا وكذا فاختصر هذا الجوابَ للطول وقيل كذلكِ وهذا والله أعلم خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك يكون لكِ ولد من غير مسيس بشرٍ ثم فسر هذه الأمور المذكورة وعللها بقوله قال كذلكِ قال ربك

هو عليَّ هين هذا تفسير جواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشرٌ وقوله تعالى ولنجعلَه آية للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً تفسير لمراد الله تعالى من خَلقهِ عيسى عليه السلام آيةً ورحمةً للناس وانه أمر لا بد منه لسبق القضاء به ٠٠ومما كثر من هذا الباب حذف مفعول المشيئة والارادة كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كلَّ نفس هُداها٠ المحذوف هنا مفعول المشيئة وهو إيتاء كل نفس هداها وتفسيره لآتينا وانما كثر حذف مفعول المشيئة بعد لو وتفسيره فى جوابها لان مادة المشيئة والشئ واحدةٌ فكأن المشيئة جعل ماليس بشئ شيئاً فمفعول المشيئة على هذا لا يتأخر عنها وهو بعدَ لو منفى لانتفائه فى الجوابِ فيكون انتفاء المشيئة لازماً لانتفائه فانتفاؤه بالوضع وانتفاء المشيئة باللزوم فحذف مفعول المشيئة لينصرف الانتفاء الى المشيئة فيكون انتفاء مفعولها تابعاً لها٠٠ومثال حذف مفعولِ الارادة قوله تعالى يريدون ليطفئوا نورَ الله بأفواههم٠حذف مفعول الارادة ههنا لأن فى الآية التى قبلها مايدل على انهم افتروا الكذبَ وهو بزعمهم اطفاء نور الله فلو ذكر آنفاً لكان كالمكرر فحذف وفسر بقوله ليطفئوا نور الله بأفواههم وكان فى الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب٠٠وكثر الحذف مع شاء وأراد إلا فى هذا المستغرب كقوله تعالى لو أرادَ الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلقُ مايشاء ٠٠ ومنه قول الشاعر

ولو شئتُ أن أبكى دَماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسَعُ

أما الاتيان بالمفعول فى الآية لأنه لو حذفه فقال لو أراد الله لاصطفى لم يظهر المعنى المرادُ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبنى ولو قال لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما فى اظهاره من تعظيم جُرم قائله ٠٠ وأما الاتيان بالمفعول فى بيت الشعر فلانه لزمه من اقامة الوزن الضمير والضمير لابدأن يعود على مذكور ولأن فى اظهاره أيضاً تعظيما لبكاء الدم ٠٠ومن الحذف حذف جواب الأمر ومنه قوله تعالى فأوحينا الى مُوسى أن أضرِبْ بعصاكَ البحرَ فانفلقَ فكان كلُّ فِرقٍ كالطَّوْدِ العظيم . تقديره فضرب فانفلق وحسن حذف الجواب هنا لسرعة الامتثال وانفعال البحر ٠٠ ومنه قول الاعشى

فقال غَدرٌ وثكلٌ أنتَ بينهما فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ   أقتلْ أسيرَكَ إنى مانعٌ جارِى

تقديره فشك ثم اختار فقال اقتل أسيرك . وحسن حذف جواب الأمر هنا لأن قوله اقتل هو احدى القضيتين اللتين خير بينهما فلو أتى بالجواب لكان تكراراً .. ومن الحذف حذف ـ لا ـ فى جواب القسم وهى قاعدة عربية حذفت اختصاراً لعدم اللبس فان الفعل المضارع اذا كان جواب القسم لزم معه اللام ونون التوكيد فاذا خلا منهما كان منفياً . تقول فى الايجاب والله ليقومنَّ زيد . فاذا قلت والله يقوم زيد تعين أنه منفى لعدم اللام والنون ومنه قوله تعالى تَفتأ تذكُرُ يوسف . تقديره لا تفتأ تذكر .. ومنه قول امرئ القيس

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرَحُ قاعداً   ولو قطعوا رأسى لديكِ وأوْصالى

ومن البيان الاستئناف وهو الاتيان بعد تمام كلام بقولٍ يفهم منه جواب سؤال مقدر . فمنه ما يكون باعادة اسم أو صفة كقولك أكرم زيداً فزيدٌ أهل الاكرام أو أكرم زيداً صديقك الصدوق كأنه توهم أن قائلا يقول لم يكرم زيد فكان استئنافه كالجواب لذلك .. ومنه قوله تعالى تنزيلاً ممنْ خَلقَ الارضَ والسمواتِ العلا الرحمنُ على العرش استوَى . وقوله تعالى وإنْ تَجهرْ بالقوْلِ فانهُ يَعلمُ السّرّ وأخفى اللهُ لا إلهَ الاّ هو له الأسماء الحُسنى . الاستئناف هنا هو قوله تعالى ـ الرّحمنُ على العَرْش استوَى ـ وقوله تعالى اللهُ لا إلهَ لاّ هو له الأسماء الحسنى . وقوله تعالى لا تُدْرِكه الأبصارُ وهوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ . يدفع وصفه تعالى باللطف والخبرة توهُّمَ من يستبعد مدركا للبصر ولا يدركه البصر .. وقد يكون الاستئناف بما ليس فيه اعادة اسم ولا صفة كقوله تعالى أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا ابراهيمُ قال بل فعلَهُ كبيرُهُم هذا فاسألوهُمْ انْ كانوا ينطِقون . تم الجواب بقوله ـ بل فعله كبيرهم هذا ـ واستأنف ـ فاسألوهم ان كانوا ينطقون ـ تنبيهاً على أن جوابه تهكما بهم وليس على حقيقته وان من لا ينطق كيف يفعل هذا بل كيف يكون إلهاً وهذا النوع فى الكلام كثير وهو من لطيف البيان ولا ينبغى أن هذا يعدّ من الحذف لأن المتكلم ما حذف من كلامه شيئاً وانما السؤال لم يقع فكان هذا جوابه لو وقع

ومن لطيف البيان الاتيان بالواو مع الأحوال والصفات والجمل المستأنفة وغير ذلك لكثرة ذلك الأمر أو غلبته أو كونه ملكه أو كونه يبعد عدمه أو يستحيل فما يستحيل عدمه ينبغي أن يجب الاتيان بالواو فيه ويقبح ويحسن فيما لا يستحيل فيه العدم بحسبه. وما ليس فيه شئ من ذلك لا ينبغي الاتيان بالواو فيه وقد تحذف الواو فى بعض هذه المواضع تنبيهاً على أمور لطيفة غريبة .. فمن الاتيان بالواو فيما يستحيل عدمه قوله تعالى • وما تنزَّلتْ به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون • وقوله تعالى • وما أهلكنا مِنْ قرية الآ ولها كتابٌ معلومٌ • كذلك لأن القدر سابق باهلاك القرى • وقوله تعالى إنهمْ عن السَّمْعِ لَمعزولون بغير واو مع أن وجود السمع مستبعد لانه إخبار بابتداء ذلك عند بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكان منهم كثيراً قبلها• • ومن لطيف ذلك قوله تعالى وسيقَ الذين كفروا الى جهنمَ زُمراً حتى اذا جاؤها فُتِحتْ أبوابُها • وقال فى حقّ المتقين حتى اذا جاؤها وفُتِحتْ أبوابُها • تحقيقاً لوجود تفتح أبواب الجنة للمتقين وتقدمه على مجيئهم وحذف الواو فى تفتيح أبواب جهنم وان كان غالباً اشعار بغلبة رحمته غضبه • والموضع الذى يقبح الاتيان فيه بالواو لعدم هذه المعانى كقولك جاء زيد والانسان أى وهو الانسان وجاء زيد وهو راكب اذ لم يكن من شأنه الركوب ويتعين أن يقال جاء زيد الانسان وجاء زيد راكباً • • وقد جاء فى أشعار العرب حذف بعض الكلمة بحيث يُخلّ بالمعنى لو لم يكن فى باقى الكلام ما يدل عليه وهذا مما البيان اجتنابه وان جاء عن العرب منه قول علقمة

كأنَّ إبريقَهمْ ظبىٌ على شَرَفٍ ... مُفدَّماً بسبا الكتّان مَلثومُ

يريد سبائب الكتان • وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ المَنَا بمتالعٍ فأبانِ *

يريد المنازل • وقول أبى دُؤاد

يُذْرِينَ جَندَلَ حائرٍ بجنوبها ... فكأنما تذكي سنابكُها الحُبا

يريد الحُباحِب • ومنه

* أوْ آلِفٌ مَكَّةَ مِن وُرْقِ الحَمَى *

يريد الحمام فحذف الالف والميم وأتى بياء الاطلاق

ومن البيان الاطناب وهو ضد الايجاز من البيان • والايجاز والاطالة ضدان فى البلاغة وفى غيرها • والاسهاب هو كثرة الكلام وهو أعم من الاطناب فانه يطلق على الاطناب الذى هو بلاغة وعلى كثرة الكلام التى لا بلاغة فيها • والاطناب الاطالة فى الكلام لرفع ما يُتوهم فى الكلام الوجيز من لبس أو لتعظيم المذكور وتهويل أمره عند السامع •• فما جاء لرفع اللبس قوله تعالى فمَن لمْ يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيّامٍ فى الحجِّ وسبعةٍ اذا رَجَعتمْ تلك عشَرَةٌ كامِلَةٌ . فقوله ـ تلك عشرة ـ مع أن الثلاثة والسبعة معلوم أنها عشرة رفعٌ لتوهم أنها ثلاثة فى الحج أو سبعة فى الرجوع لاحتمال الترديد. وقوله ـ كاملةٌ ـ مع أن العشرة لو نقصت لم تكن عشرة فائدته ان التفريق ما نقص أجرها بل أجرها كامل كما لو كانت متوالية فنسب الكمال اليها لكمال أجرها • ومثله قوله تعالى ما جعلَ اللهُ لرَجلٍ مِنْ قلبين فى جَوْفهِ • وقوله تعالى فإنها لا تَعمى الأبصارُ ولكنْ تَعمى القلوبُ التى فى الصُّدُور • لأن القلب حقيقة هو البُضْعةُ من اللحم المعروفة ويطلق القلب على الفهم والادراك الذى هو بالقلب فرفع التثنية عن البُضعة التى فى الجوف لا عن الفهم فانه يتعدد بحسب المفهومات وكذلك العمى الذى هو وصف الجارحة التى هى العين أطلق أيضاً على البضعة التى فى الصدر لمشاركتها العين فى انها عضو ولم يطلق على الفهم الذى هو معنى •• وأما ما جاء لتعظيم الأمر وكونه مهولا فكقوله تعالى اذا الشمسُ كُوِّرَت واذا النجوم انكدرَت الى قوله علِمَتْ نفسٌ ما أحضرَتْ • اذ يكفى فى الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى اذا الشمسُ كوِّرَت أو غيره من الاثنى عشرة المذكورة فعدّدها لعظم ذلك اليوم وهوله وهذا أحق باسم الاطناب من الأول

ومن البيان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل وعدمُ توكيده . أما توكيده به فلتحقيق الأمر وتبيينه اذا احتمل الكلام لبساً مّا . وأما عدمُ توكيده فعند عدم اللبس فى ذلك الأمر أو ارتفاع اللبس من الكلام بأمور أخر فلو وكد حينئذ كان اطالة فقط .

ومن ذلك قوله تعالى وإنَّ الى رَبِّكَ المُنتهى وإنهُ هو أضحكَ وأبكى وإنهُ هو أماتَ وأحيا وإنهُ خلَقَ الزَّوجينِ الذَّكرَ والأُنثى . لما كان الاضحاك والابكاء مما يتعاطاه البشر وتؤثره أفعالهم وكّد ضميره تبارك وتعالى تقريراً لأن كل فعل هو له حقيقة ولغيره مجاز وكذلك الاحياء والاماتة ربما ادّعاها بعض البشر كنمرود فى قوله أنا أحيي وأميت بخلاف خلق الزوجين الذكر والأنثى فانه لا يدّعيه أحد لأن الحسّ يكذبه والبديهة تقضى بأنه ليس إلا للاله .. ومن عدم الضمير لاستغناء الكلام عنه قوله تعالى قلِ اللهمَّ مالِكَ المُلكِ تؤتى المُلكَ مَنْ تشاء وتنزعُ المُلكَ ممَّنْ تشاء وتُعزُّ مَنْ تشاء وتُذِلُّ مَن تشاء بيدِكَ الخيرُ إنك على كلِّ شيء قديرٌ . لم توكد الكاف فى قوله ـ انك على كل شيء قدير ـ لما سبق من الأمور التى وصف تبارك وتعالى بها التى لم تبق حاجة الى التوكيد .. ومن التوكيد بالضمير قوله تعالى فلمَّا أتاها نوديَ يا موسى إنى أنا ربُّكَ فاخلعْ نعليكَ إنك بالوادِى المقدَّسِ طُوىً وأنا اخترتُكَ فاستمِعْ لِما يُوحى إننى أنا اللهُ لا إلهَ إلاّ أنا فاعبُدْنى وأقمِ الصلاة لِذِكرى . لما أتى موسى عليه السلام النارَ ولم يعلم حقيقتها قيل له ـ أنا ربك ـ تحقيقاً لأن المكلم هو الرب لا النار ولا غيرُها مما ليس رباً ثم قال ـ وأنا اخترتك ـ عطفاً على ـ أنا ـ قبله ولم يكرر ـ انى ـ استغناء بالأولة ثم قال ـ فاستمع لما يوحى ـ فذكر الوحىَ الذى هو من أمر النبوة التى يحتاج صاحبها الى التحقيق والقطع بأنه كذلك ثم قال بعد ذلك ـ اننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى ـ أتى بنون الوقاية توكيداً لتحقيق إنَّ وأتى بالضميرين توكيداً لأن المنادى الله وان المراد بالرب المذكور قبله الله لا ما يحتمل لفظ الرب مما سوى الله ثم وكد ذلك بقوله ـ لا إله الا أنا ـ فأذهب التوهم من كل وجه ثم قال بعد ذلك ـ فاعبدنى ـ اذ لا يستحق العبادة غيره ثم قال ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ شرعا للصلاة التى هى من فروع التوحيد فالتوكيد فى هذه الكلمات من ستة أوجه أحدها ـ ان ـ للتحقيق وثانيها وقايتها بالنون لتحقيقها وثالثها توكيد اسمها بالضمير المنفصل وهو قوله ـ أنا ـ الذى هو أحق عبارات المتكلم به ورابعها قوله ـ لا إله الا أنا ـ لتحقيق معنى الالهية والوحدانية وخامسها قوله فاعبدنى اذ لا يستحق العبادة غيره وسادسها قوله ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ توكيداً

لنبوة موسى عليه السلام بأن شرع له

ومن البيان الكناية والتعريض وهما معنيان متقاربان جداً وربما التبس على كثير من الفضلاء أمرها فمثَّلَ أحدهما بما يستحق أن يكون مثالا للآخر وربما كان ذلك لكون اللفظ صالحاً للكناية من وجه والتعريض من وجه .. والفرق بينهما أن الكناية وضع لفظ يراد به معنى يعرف من لفظ آخر هو أحق به لكن يعدل عنه لقبحه فى العادة أو لعظمه أو لستره أو لما ناسب ذلك من الأغراض . والتعريض أن يذكر شئ يفهم منه غير ما وضع له لمناسبة ما بين المعنيين .. فمن الكناية قولهم فى الاسم العلم فلان وفى اسم الجنس الهَنُ . والكناية بالوطء والجماع وغيرهما من التلفظ بالفعل المستقبح ذكره .. وقد نوع الكناية أهل البيان وسموا كل نوع باسم .. فمنها التمثيل وهو أن يضع على الشئ ما هو واقع على مثله أو مشابهه كقولهم فلان نقىّ الثوب أى طاهر العرض أقاموا النقاء مقام الطهارة والثوب مقام العرض .. ومنه قوله تعالى وثيابَكَ فطهّر . على رأى كثير من المفسرين أن المراد تطهير القلب ولا يمتنع أن يكون المراد ههنا تطهير الثياب حقيقة . والكناية التى لا تحتمل الحقيقة مثل قول عنترة

فشككْتُ بالرُّمحِ الأصمّ ثيابَهُ ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ

وقد سمى بعض الناس هذا مجاورة وهو داخل تحت حدّ التمثيل .. ومن ذلك ما جاء بالأمثال السائرة كقولهم بلَغ السيلُ الزُّبى وجاوَزَ الحزامُ الطُّبيين . فيما اشتدّ من الامر ولعلهم لهذا سموه بالتمثيل .. ومنها الارداف وقُدامة سماه بذلك وهو أن يؤتى عوضاً عن الكلام بما هو مرادف له كقول الشاعر

* بعيدَةُ مَهوَى القُرط *

يريد طويلة العنق . وينقسم الى أقسام منها المبادهة وهى مشتقة من بَدَهَ أى بدا من غير روية إما لتبيين أن الأمر كذلك أو لارادة المغالطة بالمسارعة الى ذلك اللفظ . مثال الاول قوله تعالى فمَنْ أظلمُ ممَّنْ افترَى على اللهِ كذِباً أوْ كذَّبَ بالحقّ لما جاءَهُ . فقوله — لما جاءه — أى سارع الى التكذيب من غير روية ولا فكر وذلك يكون للجهل أو للعناد . ومثال الثانى قول الشاعر

اذا ما تميمىٌّ أتاكَ مُفاخراً فقلْ عدِّ عنْ ذا كيفَ أكلكَ للضبِّ

غالط عن الفخر وكنى عن الخسة بأكل الضب .. ومن الارداف الكناية بمثل فى قولهم ـ مثلك يفعل هذا . ومثلك لا يفعل هذا ـ اثباتا للأمر أو نفيه ادخالا للمقول له فى ضمن المثل العام فيكون ذلك ألزم له وليس فى قولهم أنت تفعل هذا وأنت لا تفعل هذا من الوقوع فى النفس ما لقولهم مثل . وقد قيل معنى قولهم مثلك أنت ومنه قول الشاعر

فانْ أستطعْ أغلبْ وان يَغلبِ الهوَى فمثلُ الذى لاقيتُ يُغلَبُ صاحبه

وقد قيل فى قوله تعالى ليسَ كمثلهِ شىءٌ . انه من هذا الباب وفى هذا من المحذور اثبات المثل لله سبحانه ولو على سبيل المجاز . ولهذا قيل ان المثل هو الشىء نفسه فيكون معنى ـ ليس كمثله ـ ليس مثله شىء ومعنى المثل الذى هو نفس الشىء الموصوف بالصفات لا الماهية فيكون حينئذ نفى المماثلة عن قوله مثل أعم من نفيها عن قوله هو لأن النفى عن هو قد يراد به نفى مماثلة الحقيقة فقط والنفى عن مثل يقتضى نفى مماثلة الحقيقة والأوصاف فلذلك عدل عن قوله كهو الى قوله كمثله . ويحتمل أن يقال نفى مثل المثل لأن نفى مثل المثل يقتضى أن وجود المثل محال لأنه لو كان موجوداً لكان مثل المثل موجوداً وهو الشىء .. ومن ذلك ما يأتى جوابا لشرط ملفوظ به أو مقدر لأن فيه زيادة تعنيف . مثال الملفوظ فيه بالشرط قول عنترة

انْ تغدِ فى دُونى القِناعَ فاننى طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُستلئِم

يقول انى طب بأخذ الفارس المستلئم فأنا أهل لأن أكرم وأقرب . وفى ذلك تعنيف لها على اغداف القناع الذى هو ابعاد له ويجوز أن يكون المعنى انى قادر على أخذ الفارس المستلئم فأنا على أخذك أقدر فلا ينفعك التستر بالقناع . ومثال ما الشرط فيه مقدر قول عنترة أيضاً

أحَولى تَنفضُ استكَ مِذْرَوَيها لتقتلنى فها أنا ذا عمَارَا

فقوله ـ ها اناذا ـ يريد انك عاجز عن قتلى وفيه تكذيب لعمارة فى توعده بالقتل .. ومنه الاستثناء من النفى وتفسيره بضد المنفى توكيداً لذلك النفى كقول القائل ـ ما لك ظلٌّ الا الشمس ـ فاستثناؤه الشمس التى هى ضد الظل توكيد لنفى الظل . ومنه قوله

تعالى لا يَسمعونَ فيها لغواً ولا تأثيماً إلاَّ قيلاً سلاماً سلاماً . استثنى سلاماً سلاماً الذى هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثيم • ومنه قول الشاعر

وتفرَّدُوا بالمَكرُماتِ فلم يكُنْ   لسواهُمُ منها سوَى الحِرْمانِ

ومثل ذلك قول الشاعر

ولاعيبَ فيهمْ غيرَأنَّ سُيوفَهُمْ   بهِنَّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكتائبِ

وفى هذا البيت زيادة عن الكناية بديعة وهو أن فلول السيوف عيب فيها فأوهم بذلك عيبهم واذا كان من قراع الكتائب كان من أشرف المدح وأشده مضادة للعيب . وفى هذا البيت معنى لطيف وهو انه اذا أوهم العيب أصغى العدوّ الذى لا يصغى للمدح فيسمع المدح كارهاً • وأمثلة الارداف كثيرة وان لم يكن فيها شىء من هذه المعانى المتقدمة • ومنه قوله تعالى قالَ الملأُ الذين استكبرُوا من قومهِ للذين استُضعِفوا لِمَنْ آمَنَ منهم أتعلمونَ أنَّ صالحاً مُرسَلٌ مِن ربّهِ قالوا إنَّا بما أُرسِل بهِ مؤمنون • عدلوا عن قولهم نعم أو نعلم لئلا ينازعوا فى موجب العلم وقالوا — إنَّا بما أُرسل به مؤمنون — لأن الايمان والتصديق يكون عن أمر بديهى لهم ولا منازعة فى البديهيات ومنه قول جميل بن معمر

قالوا توَقَّ خيامَ الحىّ إنَّ لهم   عيناً عليكَ اذا ما نِمتَ لم تَنمِ

فقلتُ إنَّ دَمى أقصى مُرادِهمُ   وماغلتْ نظرَةٌ منها بسفْكِ دَمى

قولهم — ان لهم عيناً عليك — كنى به عن قوله يريدون قتلك وكذلك أجابهم بقوله

* فقلتُ ان دمى أقصى مرداهمُ *

ومن الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة وهو كالذى سبق من الضمير والموصول وغيره • ومنه أيضاً قوله تعالى أوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِليَةِ وهُو فى الخِصامِ غير مبين • كنى به عن النساء وهو انهن ينشأن فى النعمة والغفلة عن مدارك العقول والنظر فى دقيق المعانى وذلك مما لا يليق بالملائكة فلذلك كنى عن النساء فان لفظ النساء لا يدل على ذلك • ومنه قول كبشة بنت معديكرب تحرض على أخذ ثأر أخيها عبدالله

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكُرًا   وأُترَكُ فى بيتٍ بصعدةَ مُظلمِ

الكناية - بيت مظلم - عن قبر من لم يؤخذ بثأره فان من أقوال العرب انه لا يزال قبر القتيل مظلما حتى يؤخذ بثأره فيضيء .. ومن الكناية ما يستقبح كقول المتنبي

إنى على شغفى بما فى خُمرِها　　لأعِفُّ عما فى سَرَاويلاتِها

كنى بقوله - ما فى سراويلاتها - عن الفرج وما والاه ولعمرى ان ذكر الفرج بأقبح أسمائه أحسن من قوله - ما فى سراويلاتها - وهذا ليس بقسم من أقسام الكناية فان هذا قبح فى الشعر الذى يقع فى الكناية وفى غيرها .. وعن مثل هذا بعينه كنى الشريف الرضى بقوله

أحِنُّ الى ما تضمَنُ الخُمرُ والحُلا　　وأصدِفُ عما فى ضِمانِ المآزِرِ

فأتى بألطف ما يكون من اللفظ فوصف بيته بالحسن كما وصف بيت المتنبى بالقبح . ومن أحسن ما جاء من مثل ذلك قول عمر بن أبى ربيعة

لستُ أنسى قولَها ما هدهدتْ　　ذاتُ طوقٍ فوقَ غصنٍ من عُشَرْ

حين صَمّتْ علَى ما كرِهتْ　　هكذا يفعلُ مَنْ كان غَدَرْ

كنى بقوله - صممت على ما كرهت - عما يروم من الفاحشة وفيه مدح لها بالعفة ولم يفهم من قوله انها أجابت .. وأما التعريض فقد ذكره الله تعالى فقال ولا جُناح عليكم فيما عرَّضتمْ به مِن خطبةِ النساءِ أوْ أكننتمْ فى أنفسكمْ علِمَ اللهُ أنَّكم ستذْكرُونهنَّ ولكنْ لا تواعِدُوهنَّ سرًّا إلاَّ أن تقولوا قوْلاً معرُوفاً . فنفى الجناح عمن عرض فدل بالمفهوم على أنه على من صرح ونهى عن التصريح بقوله تعالى - ولكن لا تواعدوهن سرًّا - فدل ذلك على أن التعريض يباح والتصريح محظور فى هذه الصورة . ومن التعريض البديع قوله تعالى فيما حكاه عن قول الحواريين ياعيسى ابن مريم هلْ يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا اللهَ إنْ كنتمْ مؤمنين . فكان غرضهم طلب المعجز فعرضوا بالاستفهام عن استطاعة الرب لانزال المائدة فلما قال لهم عيسى عليه السلام - اتقوا الله ان كنتم مؤمنين - قالوا نريدُ أنْ نأكلَ منها وتطمئنَّ قلوبُنا ونعلمَ أنْ قدْ صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . فعرضوا بذلك كله وقرّبوه من التصريح ولم يصرّحوا فتحقق عند عيسى عليه السلام مرادهم

فقال اللهمَّ ربَّنا أنزِلْ علينا مائدةً من السماء تكونُ لنا عيداً لأوَّلنا وآخِرنا وآية منكَ وارْزُقنا وأنت خيرُ الرَّازقين . فدعا باسمه العظيم الجامع وأردفه بقوله ـ ربنا ـ لقولهم ـ هل يستطيع ربك ـ وعم الرب اذ لا يستطيع ذلك الا الله وسأل الله المائدة وأن تكون عيداً ففى ضمن هذا سؤال الله تصديقهم له وهو من التعريض البديع وسأل أن تكون آية وذلك مما لا يصلح أن يكون الا للأنبياء ثم قال ـ وارزُقنا وأنت خير الرازقين ـ تعريضاً بطلب ما سألوه من الأكل منها لانه من الجائز إن كان أنزل عليهم مائدة وحظر عليهم الأكل منها فانظر الى مافى هذه الكلمات من المعانى البديعة ولعل فى قوتها ما تعجز عنه القوة والله أعلم بذلك •• ومن أحسن التعريض قوله تعالى اذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ ورأيتَ الناسَ يَدخلُون فى دِينِ اللهِ أفوَاجاً فسبِّحْ بحَمدِ ربّكَ واستغفِرْهُ إنهُ كان توَّاباً الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لأن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فسراه بنعى نفسه اليه صلى الله عليه وسلم وعما فهم من هذا التعريض رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض بقوله فيما رواه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مَظعون ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضنٌ أحد ابنى ابنته وهو يقول والله انكم لتجبّنون وتُبخّلون وتُجهِّلون وانكم لمن رِيحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوَجٍّ ـ ووَجٌّ ـ واد بالطائف قريب من حنين والمراد غزاة حنين وانها آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وان وفاته صلى الله عليه وسلم قريب منها وكان بينهما سنتان ونصف وذكر ان الأولاد من ريحان الله وانهم يجبنون ويبخلون ويجهلون وكل فى طريق هذا التعريض •• ومن التعريض قول الشميذر الحارثى

بنى عمنا لا تذكرُوا الشعرَ بعدَما دَفنتمْ بصَحراء الغَميرِ القوافيا

فقوله ـ دفنتم القوافيا ـ أى إنما جرى لكم فى ذلك اليوم من قهرنا لكم لا يصلح بعده ذكر الشعر فلم يذكر القهر والغلبة وعرض عنه بدفن القوافى •• ومن التعريض قول امرئ القيس فى البيت الذى جاوز حسنه الوصف وهوقوله

وصِرْنا الى الحسنى ورَقَّ كلامُنا ورُضتُ فذلَّتْ صَعبةٌ أيَّ إذلالِ

عرض بقوله ـ وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ـ عما يكون عند الجماع ووصف نفسه بحسن الرياضة ووصفها بالصعوبة والتعفف ثم قال ـ أى اذلال ـ ولم يقل أى ذلة تعظيما لرياضته وتلطفه فى التذليل فنصب ـ اى اذلال ـ على المدح ولم ينصبه مصدراً عن ذلت

•• ومن التعريض اللطيف ما يكون عن أمر يدل عليه اصطلاح معروف لكن كثيراً ممن يسمع ذلك يعزب عنه ذلك الاصطلاح أو لا يعرفه لانه ليس من أهله كقول عمر بن أبي ربيعة

أَهِيمُ بها فى كل مُمْسى ومَصْبَحِ وأذكُرُها يوماً اذا خَدِرَتْ رِجلى

وفى قوله ـ وأذكرها يوماً اذا خدرت رجلى ـ غموض ومعناه ان مما يجرى مجرى خرافات العرب وقد يكون من الخواص ان من خدرت رجله اذا ذكر من يحب زال الخدر فقوله ـ وأذكرها يوماً اذا خدرت رجلى ـ تعريض بأنها محبوبته • وقريب من ذلك قول الفرزدق

ولمَّا تصافنَّا الإداوَةَ أجْهَشت إلىَّ غُضونُ العَنبرىِّ الجُراضِمِ
وجاء بجُلمودٍ لهُ مِثلَ رأسهِ ليسقى عليه الماء بين الصرائم
على حالةٍ لوأنَّ فى القومِ حاتِماً على جُوده لضَنَّ بالماءِ حاتِمِ

عرض بقوله ـ وجاء بجلمود له مثل رأسه ـ عن شدة حاجته الى الماء وطلبه للكثير منه بين الصرائم يعنى المواضع المعطشة التى يعز فيها الماء حتى ان حاتماً على كرمه يبخل به ـ والمصافنة ـ تقاسم الماء فى المواضع المعطشة وقد لا يوجد الاناء الصغير الذى يمكن أن يقسم به فيوضع فى الاناء الكبير حصاة لطيفة ويسكب فيه الماء حتى يكون مثل ارتفاعها فيكون ذلك حينئذ قائم مقام الاناء الصغير فى القسمة وهذا الامر لا يعرفه الا من كثرت أسفاره فى المواضع المعطشة أو سمعه ممن كثرت أسفاره فى المواضع المعطشة وهذا الأمر مما يفعله أهل هذا الشأن الى الآن وجر حاتم آخر البيت على البدل من الهاء العائدة الى حاتم فى صدر البيت وقد روى ـ ما جاد ـ فى موضع قوله ـ لضن ـ وروى ـ ضنت به نفس حاتم ـ ولا اشكال حينئذ والظاهر ان هذا اصلاح لا رواية

ومن البيان ان نفى العام يستلزم نفى الخاص واثبات الخاص يستلزم اثبات العام

فيذكر المستلزم وهو أن يؤتى فى النفى بالأعم وفى الاثبات بالأخص ٠٠ ومن ذلك ماهو متعارف فى اللسان كقولهم ما فى الدار أحد وما فى الدار ديار ، وما فى الدار دوارى ٠ ويعمل فى مثل ذلك فيما ليس بمتعارف توكيداً لما يُراد من النفى أو الاثبات مثال ذلك أن يقال أفى الدار زيد فيقال فى جواب ذلك ما فى الدار رجل أو ما فى الدار أحد لأن رجلا واحداً كل واحد منهما يتضمن زيداً ويزيد رجل بنفى أمثال زيد من الذكور ويزيد أحد بنفى جنس زيد من الذكور والاناث وهذا زيادة بيان هذا اذا كان الموطن يقتضى ذلك وان لم يكن الموطن مقتضياً لذلك كانت زيادة لا حاجة اليها والمفرد فى سياق النفى أعم من الجمع واسم الجنس فان من يقول ما عندى دراهم أو ما عندى تمر قد يكون عنده درهم أو تمرة فيكون صادقا على وجه ومن يقول ما عندى تمرة وما عندى درهم لا يجوز أن يكون عنده تمر ولا دراهم فلو قيل قد يكون عنده بعض درهم فهذا قل مايقع أو يقصد . وقوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام قالَ الملأ من قومِهِ إنّا لنراكَ فى ضلالٍ مبينٍ قالَ يا قومِ ليس بى ضلالةٌ ٠ ولم يقل ليس بى ضلالَ لأن نفى الضلالة يستلزم نفى الضلال وهو أبلغ من عكسه ولا يرد عليه بعض ضـلالة اذ بعض الضلالة ضلالة وعكس ذلك يكون فى الاثبات ٠ ومثاله أن يقال أفى الدار أحد فيقال فى الدار زيد وكان يكفى أن يقال نعم وفى تعيين زيد زيادة بيان ويحسن أيضاً فى موطنه ويقبح فى غير موطنه ٠٠ ومن ذلك قوله تعالى قُلْ إنما أنا بَشَرٌ مثلُكم يُوحَى إلىَّ انما إلهُكم إلهٌ واحد فمَنْ كان يَرْجو لِقاءَ ربّه فليَعمَلْ عملاً صالحاً ولا يُشرِكْ بعبادةِ ربهِ أحداً ٠ أمر بالعمل الصالح من كان يؤمن بالله وهو جزئى ونهاه أن يشرك به أحـداً فاستعمل العام بعد النهى والأمر اثبات والنهى نفى وكذلك قوله ـ فمن كان يرجو لقاء ربه ـ بعد ذكر الاله الذى لفظه أعم من لفظ الرب فاستغنى عنه بالأخص الذى هو الرب وكذلك قوله ـ بعبادة ربه ـ أيضاً ٠ ومنه قوله تعـالى مَثلُهمْ كمَثَل الذى استوْقَدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حوْلَهُ ذهب اللهُ بنورِهِمْ وترَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لايُبصِرُون صُمٌّ بُكمٌ عُمىٌ فهمْ لا يرجعون ٠ نفى النور الذى هو أعم من الضوء المذكور ولو نفى الضوء لم ينتف النور وقوله ـ وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ـ يبين هذا المعنى لأنه من الممكن أن يرى

فى الظلمات شئ فوكد ذلك بقوله ـ لا يبصرون ـ لينتفى هذا التوهم ودليـل كون النور أعم من الضوء قوله تعالى وهو الذى جعلَ الشمسَ ضياء والقمرَ نوراً . فالنور أعم والضياء أتم

ومن البيان ابهام الشئ حين يراد تعظيمه وتفخيمه عند السامع وقد يفهم الشئ مع الابهام فلا يفتقر الى تفسير وقد يفسر بعد ذلك ٠٠ فمما جاء غير مفسر قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام قالَ أتعبُدُونَ ما تنحِتون . أبهم ولم يفسر لدلالة القرآن من تكسير الأصنام وما تقدم له من ذكرها ٠ وقوله تعالى فى خطاب فرعون لموسى عليه السلام وفعلتَ فِعلَتَك التى فعلتَ وأنتَ من الـكافرين ٠٠ وأما ما جاء مفسراً بعد الابهام فكقوله تعالى فاذا جاءتِ الصاخةّ . ثم فسر الصاخة بقوله تعالى يوم يَفرُّ المرء من أخيهِ وأمهِ وأبيهِ وصاحبتهِ وبنيهِ . وفى قوله تعالى بعـد ذلك لـكلِّ امرئٍ منهمْ يومئذٍ شأنٌ يُغنيه . تفسير للصاخة وابهام للشأن ٠ وفى قوله تعـالى بعد ذلك وجوهٌ يومئذٍ مسفرَةٌ ٠ الى آخر السورة والله أعلم من تمام تفسير الصاخة ولم يفسر الشأن لابقاء عظمته فى النفوس ويجوز أن يكون تفسيراً لشؤن السعداء والاشقياء واختلافهما ٠ وأما قوله تعالى وإذْ يَرْفعُ ابراهيمُ القواعدَ . على سبيل الابهام وفسرها بقوله منَ البيتِ . ولم يقل قواعد البيت ففيه تعظيم وتفخيم لذكر القواعد على سبيل الاستقلال لا على سبيل الاضافة فان المضاف يتعرف بالمضاف اليه فكأنه كالتبع وفى قوله ـ قواعد البيت ـ ما يوهم انه كان ثَمَّ بيت وله قواعد وليس كذلك وهذا التوهم عند إفراد القواعد عن الاضافة أبعد ٠ ومما جاء للتفخيم ذكر العقد من عقود العدد مستثنى منه بدلا عما دونه كقوله تعالى فلبثَ فيهم ألفَ سَنةٍ الا خمسين عاماً ٠ ولم يقـل تسعمائة وخمسين تفخيما للأمر بذكر العقد وهذا مما لا يراه الحسّاب اذ لا حاجة بهم فى حسابهم الى التفخيم ٠ ومن ذلك قول امرئ القيس

وهلْ يَعِمَنْ مَن كان أحدثَ عهدهِ ثلاثين شهراً فى ثلاثةِ أحوالِ

فخم المدة بقوله ـ ثلاثين شهراً ـ بكثرة عـدد الشهور ثم قال ـ فى ثلاثة أحوال ـ تفخيما لها بالتمام اذ هى واقعة فى ثلاثة أحوال ولم يقل حولين ونصفاً ٠٠ وقد يكون

التفخيم بتشقيص العدد لتكرير العطف وتكثير أسماء العدد . ومن ذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشرٍ فتمَّ ميقاتُ ربه أربعين ليلةً . ومن ذلك قول مجمع

مَضتْ مائة من مَولِدى فانتضيتها ... وخمسٌ تِباعٌ بعد ذاك وأربَعُ

ولم يقل وتسع وكان يمكنه أن يقول - وتسع ورأسى كالثغامة أصلع - أو غير ذلك

ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أضيف اليه توكيداً لما فى ذلك الكلام من الحكم والمعانى وغير ذلك مما يعظم فى بابه خيراً كان أو شراً . ومنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبُها جامدة وهى تمرُّ مرَّ السحاب صُنْعَ اللهِ الذى أتقن كلَّ شىءٍ انه خبيرٌ بما يفعلون . لما كانت الجبال ترى جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب لسرعة حركتها وهى لا ترى كان ذلك أمراً عظيما تحار فيه العقول وكد بقوله تعالى - صنع الله - ثم وصف نفسه بأنه المتقن لكل شىء . وكذلك قوله تعالى فان آمنوا بمثلِ ما آمنتم به فقدِ اهتدَوْا وانْ تولوْا فانما هم فى شِقاقٍ فسيكفيكهمُ اللهُ وهو السميعُ العليمُ صِبغةَ اللهِ ومَنْ أحسنُ من اللهِ صِبغة ونحنُ له عابدون . لما ذكر خلق الايمان فى قلب من آمن وسماه هدًى وذكر صدّه من تولى ولم يؤمن وسماه شقاقا ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى - فسيكفيكهم الله - وكان هذا الأمر مما لا يقدر عليه الا الله فى هدى بعض الناس حكمة خفية لا يكاد يطلع عليها نسب ذلك الى فعله بقوله تعالى - صبغة الله - وفى هذا رد على القدرية وعقب ذلك بقوله - ومن أحسن من الله صبغة - توكيداً لهذا المعنى واعلاماً بأن الحكمة فى ذلك وان خفيت فهى فوق قدرة البشر . وهذا فى القرآن وفى كلام العرب كثير .. وقد يكون توكيداً لضد ذلك من تعظيم شرّ أو تعظيم التفريط فى الحكمة كما يقال للسفيه فى ماله ودينه والمسىء لسياسة أموره انك لتسرف فى تبذير مالك وانفاقه فى المعاصى وانك لتوغر صدور الناس عليك فعل الشيطان تعظيما لشر ما يأتيه وفعل المجانين تعظيما لمباينته الحكمة .. ومن ذلك قول الشاعر

يَركبُ كلَّ عاقرٍ جُمهورِ ... مخافةً وزَعلَ المحبورِ

والهَولَ من تهوّلِ الهبورِ

يجوز أن يكون مخافة وما عطف عليه منتصباً على المصدر أومفعولا له وهو مصدر أيضاً فوكد به سوءفعله فى كونه ركب العاقر وهومالم ينبت من الرمل مع أنه جمهور وهو ما تراكم من الرمل أيضاً وترك السهل خوفا وسرعة لكونه متنعما يعسر عليه تحمل الشقاء أو هولا وتهولا من المواضع المطمئنة للجبن وكل ذلك ركوب السهل خير منه فوكد بتلك المصادر ضعف رأيه مع أن المصدر حيث وقع يكون موكداً لفعله أو مبيناً لنوعه أو لعدده وكل ذلك من باب البيان

ومن البيان التقديم والتأخير لالمرجح لفظى بل لمرجح معنوى والمرجح اللفظي قد سبق ذكره وهو من متعلقات النحو وهذا مما ليس يتكلم فيه من جهة النحو . والمعانى المرجحات كثيرة يعسر حصرها وفى ذكر بعضها ما يدل على ما لم يذكر كالأشرف والأعظم والأقدم فى الزمان والأكثر والراجح فى شئ ما .. وقد يكون فى المؤخر ترجيح مّا ويقدم عليه رعاية لترجيح آخر إمّا من غرض المتكلم أو لكون المظنة أولى به .. فما قدم للشرف ما جاء فى قوله تعالى ولله يسجدُ من فى السموات والأرضِ طوعاً وكرهاً . فان قيل ان فى الأرض من هو أشرف ممن فى السماء قلنا ذلك قليل وأهل السماء كلهم أشراف وليس فيهم أرذال كالعصاة الذين هم أكثر أهل الأرض ..ومما قدم للعظم ما جاء فى قوله تعالى لَخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ الناسِ . لمّا فضلهما على الناس فى العظم قدم الأعظم منهما . وقد قدم الأرض فى قوله تعالى خَلَقَ الأرضَ والسموات العُلى . لتقدم خلق الأرض على خلق السموات فى الزمان .. ومما قدم للكثرة ما جاء فى قوله تعالى تنزّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذنِ ربّهم . قدم ذكر الملائكة وان كان الروح من أشرفهم على القول بأن الروح ملك وأخر وان كان لفظ الملائكة يتناوله لشرفه ورفع توهم من يظن انه لم ينزل مع الملائكة لشرفه ..ومما قدم لكون خلقه أعجب وأدلّ على القدرة ما جاء فى قوله تعالى واللهُ خلقَ كلّ دابّةٍ من ماء فمنهمْ مَن يمشى على بطنهِ ومنهمْ مَن يمشى على رِجلين ومنهم مَن يمشى على أربعٍ . لأن المشى بلا آلة أدلّ على القدرة من المشى بآلة والمشى بالآلة

القليلة أدل على القدرة من المشى بالآلة الكثيرة وفى هذه الآية ما يستشكل من اطلاق اللفظ الدال على من يعقل على ما لا يعقل فى قوله تعالى ـ منهم ومن ـ وذلك لما جمع من يعقل مع ما لا يعقل فى قوله تعالى ـ كل دابة ـ غلّب من يعقل على ما لا يعقل وذلك فى قوله ـ منهم ـ وأما من ـ فى قوله تعالى من يمشى على بطنه . ومن يمشى على أربع ـ فليس من يعقل داخلا فيه لكن لما أطلق على ما لا يعقل ـ هم ـ المختصّ بمن يعقل لما ذكر من الجمع ساغ أن يطلق عليه من مع الافراد .. ومما قدم لتقدمه بالطبع ماجاء فى قوله تعالى مَثْنَى وثُلاثَ ورُباع . فى صفة النساء والأجنحة .. ومماقدم وفى المتأخر ما يرجح تقديمه ما جاء فى قوله تعالى وماخَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعبُدون أخر الإنس وهم أشرف من الجن وقدم الجن لمعان . أحدها أنهم أقدم فى الخلق . والثانى أن خلقهم أعجب للطف أجسامهم عن الادراك بابصارنا . والثالث كونهم أحق بالتعنيف لأنهم أكثر عصيانا من الانس ودليل التعنيف قوله تعالى ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدونِ ـ وذلك يدل بالمفهوم على عصيانهم والتعنيف عليه ومما يؤكد ذلك قوله تعالى ما أُريدُ منهم مِن رزقٍ وما أُريدُ أنْ يُطعِمونِ . وقدم الرزق على الاطعام لكونه أعم منه

ومن البيان الاتيان بالمظهر دون المضمر ويكون ذلك لبيان عظم أمرٍ مّا كالجودة والرداءة والشرف والخسة وغير ذلك .. فن ذلك ما جاء فى قوله تعالى فلمّا ذَهبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ وجاءتهُ البُشْرَى يُجادِلُنا فى قومِ لُوطٍ إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أوَّاهٌ مُنيبٌ . قال ـ إنَّ ابراهيم ـ ولم يقل انه لشرف ابراهيم عليه السلام والزيادة فى تشريفه بمانسب اليه .. وأماما جاء منه للذم فنحو قوله تعالى مَن كان عدُوًّا للهِ وملائكتهِ ورُسلهِ وجبريلَ وميكالَ فانَّ اللهَ عدُوٌّ للكافرين . قال الله تعالى ـ فان الله عدو للكافرين ـ ولم يقل له وقد سبق ذكرهم فى من المبهم واسم كان المضمر فيها ذما لهم بالكفر وتبيينا أن عدو الله وملائكته ورسله لا يكون الا كافراً وفى هذه الآية اظهار اسم الله لعظمه تعالى وهو قوله تعالى ـ فان الله عدو للكافرين ـ بعد ضميره فى ملائكته ورسله

ومن البيان التخلص والاقتضاب وافتتاحات الكلام وخواتمه .. أما التخلص من

كلام الى كلام وهو الذى يسمونه المخلص فى الشعر وهو الانتقال من الغزل الى المديح مثلا وهو أن يعلق آخر كلامه فى الغزل بأول كلامه فى المدح بحيث يكون كالكلام الواحد كقول ابن الرومى عن التى تغزل بها

أرِجَتْ منها فلاةٌ جَرْدَةٌ وأضاءتْ ووُجوهُ الليلِ سُودُ
قلتُ لما عبقتْ أرْواحها بالملا لا دَرَست تلك العهودُ
أثنا ابنِ يزيدٍ بيننا أمْ نسيمٌ بَثَّهُ روضٌ مجُودُ

وهذا مما اعتنى به المتأخرون ولم يعتن به المتقدمون ويأتى فى كلامهم فى الانتقال من الغزل وغيره الى المديح وغيره . فمن ذلك قول زهير بن أبى سُلمى

تأوَّبنى ذكرُ الأحبةِ بعد ما هجمتُ ودُونى قلةُ الحزنِ فالرَّملُ
فأقسمتُ جهداً بالمنازلِ من منى وما سُحفتْ فيه المقاديمُ والقَمَلُ
لأرتحلنْ بالفجرِ ثمَّ لأدأبنْ الى الليلِ إلاَّ أن يُعرِّجنى طِفْلُ
الى مَعشرٍ لم يُورِثِ اللؤمَ جَدُّهم أصاغِرَهم وكلُّ فحلٍ له نجلُ

معنى ـ سحفت ـ حلقت مقاديم الرؤس ـ والقمل ـ الشعر الذى فيه القمل وقوله ـ يعرجنى طفل ـ أى تلد ناقتى أو تجهض فتعوقنى عن السير .. ومن أحسن ما جاء من ذلك لبعض المتأخرين وقد سأله قرواش أن يهجو من بحضرته من مغنيه ووزيره وحاجبه فى ضمن مدحه له فقال

وليلٍ كوجهِ البَرْقَعيديِّ ظُلمة وبردِ أغانيه وطولِ قُرُونه
سريتُ ونومى عن جفُونى مشرَّدٌ كعقلِ سليمانَ بن فهدٍ ودينه
على أولقٍ فيه التفاتٌ كأنه أبو جابرٍ فى خبطه وجنُونه
الى أن بدا ضوْء الصباح كأنه سَناوجهِ قِرْواشٍ وضوءِ جبينه

ـ البرقعيدى ـ المغنى ـ وسليمان ـ الوزير ـ وأبو جابر ـ الحاجب . وهذا فى حسنه مما تبعد الزيادة عليه بل مساواته .. وقد قال بعض الناس انه لم يجئ فى القرآن العزيز تخلص والذى حمله على قول ذلك انه وجد التخلص يقع غالباً متكلفاً والقرآن منزه عن التكلف وليس ما ادعاه حقاً فانه وجد فى القرآن بغير تكلف كقوله تعالى سأل سائلٌ

بعذابٍ واقعٍ ليس لهُ دافعٌ مِنَ اللهِ ذى المعارجِ تَعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ اليه فى يوم كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ فاصبِرْ صبراً جميلا إنهمْ يرَوْنَهُ بعيداً ونراهُ قريباً . ذكر أولا عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ووصف الله تعالى بذى المعارج تخلصاً الى قوله - تعرُج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - وهذا من ألطف التخلص وأحسنه •• ومنه قوله تعالى أللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ مثلُ نوره كمشكاةٍ فيها مِصباحٌ المصباحُ فى زُجاجةٍ الزُّجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّىٌّ يُوقدُ من شجرَةٍ مُباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتُها يُضىءُ ولو لم تمسسهُ نارٌ نورٌ على نور يهدى اللهُ لنورِه مَن يشاءُ ويَضرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ واللهُ بكلّ شىءٍ عليمٌ. هذه آية واحدة جاء فى أولها صفة النور وتمثيله وتخلص منه الى صفة الزجاجة وصفائها ثم رجع الى ذكر النور والزيت الذى يُستمدّ منه وتخلصَ منه الى صفة الشجرة وتخلص من صفة الشجرة الى صفة الزيت ثم تخلص منه الى صفة النور وتضاعفه ثم تخلص منه الى نعم الله بالهدى على من يشاء من عباده •• وأما الاقتضاب فالانتقال من كلام الى غيره بكلمة تدلّ على الانتقال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض وهو غالباً بقولهم - أما بعد - وقولهم - وبعد - وبكلمات كثيرة غيرها وقد سمى هذا فصلَ الخطاب وفصل الخطاب حقيقة هو تخليص المعانى بعضها من بعض والاتيان بكل شىء فى موضعه ومع ما يناسبه ولعله خلاصة علم البيان • أما قولهم أما بعد وبعد فغير محتاج الى المثال لكثرته فى ابتداآت الخطب والكتب المصنفة فى العلوم المختلفة •• ومما يقتضب به الكلام لفظةُ - هذا - كقوله تعالى هذا وانَّ للطاغين لشرَّ مآبٍ جهنم يَصلونها فبئسَ المهاد . هذا فليذوقوهُ حميمٌ وغسّاقٌ • ومنه لفظة - كذلك - كقوله تعالى أوَ لم يكن لهم آيةً أن يعلمَهُ عُلماءُ بنى اسرائيلَ ولو نزّلناه على بعضِ الأعجمينَ فقرَأهُ عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سَلَكناهُ فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يرَوُا العذابَ الأليم . وفى قوله تعالى يا بُنىَّ لا تقصُصْ رُؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إنّ الشيطان للانسان عدوٌّ مُبينٌ وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلّمك من تأويلِ الأحاديث • ومع كذلك هاهنا واو العطف • والواو • والفاء • وثم • يعطف بها الجمل من هذا الباب

ومن لم يعدهن فلكثرتهن فى الكلام وليس ذلك مما يخرجهن عن هذا المعنى .. ومما يقتضب به ـ بل ـ للاضراب ـ ولكن ـ للاستدراك ـ ولا ـ للنفى فى مثل قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم . وقوله تعالى لا أُقسم بيوم القيامة ولا أُقسم بالنفس اللوّامة. ومن ذلك ـ كلا ـ للردع والزجر ومنه ـ وسوى ذلك . وغير ذلك ـ ولا حاجة بنا الى حصر ما يقع فى هذا الباب اذ قد فهم الغرض منه

وأما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغى لمن نظم شعراً أو ألف خطبة أو كتابا أن يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويختمه بما يشعر بانقضائه وأن يقصد ما يروق من الالفاظ والمعانى لاستمالة سامعيه اليه وأن يجتنب ما يُتطير منه وما يفحش لفظه أو يستقذَر وافتتاح أبى تمام قصيدته بقوله

* قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ *

خير من افتتاح أبى نواس بقوله

* يا دارُ ما صنعتْ بكِ الأيام *

وان كانت قصيدة أبى نواس خيرمن قصيدة أبى تمام بكثير للتطير بالافتتاح .. ومن أحسن الافتتاحات والخواتم قول تأبط شرًّا فى افتتاح قصيدته وختمها التى وصف قصته فيها مع اللحيان وهو قوله فى الافتتاح

اذا المرء لم يحتلْ وقد جدَّ جدُّه أضاعَ وقاسى أمرَه وهو مُدبرُ

وختم بقوله فيها

فأُبت الى فهم وما كنت آيباً وكم مثلُها فارقتها وهى تصفرُ

ذكر أولا المراد من القصيدة فى الافتتاح وأشار الى نجح حيلته وانقضاء القصيدة ومدح نفسه بالبيت الأخير .. ومن بديع الافتتاح والختم قول الشيخ أبى العلاء ابن سليمان فى قصيدة يرثى بها أحد أقاربه من بنى عمه وعزى فيها أهله

غير مجدٍ فى مِلّتى واعتقادى نوحُ باكٍ ولا ترنمُ شادِ
وشبيهٌ صوتُ النعىّ اذا قيسَ بصوتِ البشير فى كل نادِ

الالفاظ مساوية للمعنى مع حسنها وتناسبها وما فيها من الطباق بين النوح وترنم الشادي

والنعي والبشير ومافيها من التسلية والتسوية بين صوت النعي والبشير وهي مع ذلك تأخذ بمجامع لبّ كل ذى عقل سليم وختمها بقوله

واللبيبُ اللبيبُ من ليس يغتـــرّ بكونٍ مصيره لفساد

وهذا البيت يكاد يشتمل على ما فى القصيدة لما فيه من الوعظ وهو تصويب ترك الغرور بأمور الدنيا ومحبوباتها ومستحسناتها وذلك الذى أثنى به على المرثى وعلى أهله وتسليتهم بأن كون الدنيا مصيره لفساد فهو محقق ولا يخالف فيه أحد فلا ينبغى الاسف على ما لابد منه وفى البيت تكرار ـ اللبيب ـ للتوكيـد والمراد به ألبّ الالبّا والطباق بين الـكون والفساد مع تناسب ألفاظ البيت وحسن ترتيبها

ومن البيان أن يستعمل اللفظ الاكثر حروفا اذا كان فيه معنى الأقل حروفا لبيان قوة المعنى فان الزيادة دلالة على ذلك نحو ـ قَدَر واقتدر وقادر ومقتدر ـ فان قادرا ومقتدراً مشتركان فى القدرة وزيادة التاء تدلّ على زيادة القدرة وهذا لا يطرد فى كل زيادة فان سين الطلب تدل على أن المعنى غير حاصل فكيف يكون أقوى وذلك كعلم واستعلم فان المستعلم لا علم عنده فلا يشارك العالم وكذلك قولك كسر وانكسر وغر واغتر فانه مع عدم الزيادة فعله ذلك بالغير ومع الزيادة وقوع الفعل به فهما مختلفا المعنى فلا تفاضل بينهما فى القوة والضعف •• وأما أبنية المبالغة فان فيها ما فيه زيادة كسآل من أبنية المبالغة وفيه زيادة على سائل وسؤول فيه المبالغة وليس فيه زيادة على سائل •• وفعيل أيضاً من أبنية المبالغة وقد ذكر بعض الناس أن فاعلا أبلغ من فعيل واستدل بعموم فاعل وكثرته فى الكلام وأشياء مما يناسب ذلك وهذا ليس بشئ فان الأبلغَ والأضعفَ انما يحكم عليهما بذلك اذا اشتركا فى الحرف والدلالة كعالم وعليم فان عليما أبلغ من عالم وحيث وُجد هذا المعنى يكون فعيل أبلغ من فاعل •• وأما فاعل وفعيل من حيث هما وزنان فلا يقال لهذا الوزن أنه أبلغ من هذا الوزن لكثرة وقوعه فى الكلام فانا اذا قلنا عالم وكاتب وضارب ولم يُبنَ من الموادّ الثلاث الا عليم كان عليم أبلغ من عالم ولا يكون فاعل أبلغ من فعيل لانضمام كاتب وضارب الى عالم وكل لفظين مختلفين أيّ اختلاف كان لابد أن يختلف مدلولهما سواء وقفنا على ذلك أو لم نقف

عليه فان وضع الالفاظ للمعانى من وضع الله تعالى فلا بد أن يكون الاختلاف لحكمة والا كان عبثاً فتعالى الله عن ذلك مع أن مالا يوقف عليه قليل وقد يقف عليه من لم نعرف ومثال ما لم نقف عليه التراب والبرا فانه يجوز أن يكون روعى فيه اختلاف صفة حين التسمية ولم نقف على ذلك ولعل العرب أو بعضهم يعرف ذلك لأنهم يتكلمون بطباعهم ونحن نتكلم بالنقل عنهم

ومن البيان الأمر بضد المطلوب تهديداً للمأمور واستهانةً به وقد سماه بعض الناس خذلان المخاطب • ومنه قوله تعالى قلْ تمتعْ بكفرِكَ قليلاً إنك من أصحابِ النار • وقوله تعالى وقلْ للذين لا يُؤمنون اعملوا على مَكانتِكم إنّا عاملون وانتظِرُوا إنّا مُنتظرون • ففى الأولى تهدّد بالنار وفى الثانية أبهم التهديد وهو أشدّ موقعاً من التصريح اذ لا يحاط بجميع أنواع العذاب وتفاصيله • ومن ذلك ما جاء للتعجيز كقوله تعالى قلْ يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للهِ من دونِ الناسِ فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين ولا يتمنَّونه أبداً بما قدَّمتْ أيديهم والله عليمٌ بالظالمين • قوله تعالى – ان زعمتم – وقد زعموا معناه – ان كنتم صادقين – وأمرهم بتمنى الموت وأخبر أنهم لا يتمنونه واذا كان كذلك فهم عاجزون عن الاتيان بما أمرهم به •• وقد يكون الأمر اخباراً بأن لا حرج على فاعل المأمور به كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وما يُدريك لعلّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال لهم يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم أو كما قال •• وقد يكون اخباراً بأن لا فائدة فى فعل المأمور به كقوله تعالى اصبروا أوْ لا تصبرُوا سَواءٌ عليكم

ومن البيان ما يستند الى الاشتقاق المعروف عند أهل النحو اشتقاق الأفعال واسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهة وغير ذلك من المصدر على رأى البصريين ومن الفعل الماضى على رأى الكوفيين •• والذى فيه من البيان اقامة الفعل الماضى مقام المستقبل والمستقبل مقام الماضى وقد مرّ ذلك •• ومثل ذلك اقامة اللفظ مقام اللفظ لما بينهما من الاشتقاق لغرض المبالغة أو غيرها نحو قولهم رجل عدلٌ ورجل رِضىً اقامة لعدل مقام عادل ورضى مقام مرضى وما أشبه ذلك •• وثم معنى آخر لا يسميه

أهل النحو اشتقاقا ومن أهل البيان من سماه الاشتقاق الاكبر وهو أن تكون المادة من الحروف كيف تقلبت اشتركت فى معنى كالكاف واللام والميم فانها كيف تقلبت دلت على القوة وقد يكون ذلك باستيعاب التقليب وقد يكون بعضه دون بعض ولا يلزم ذلك فى كل مادة . والبيان فى ذلك أن يؤتى باللفظ الأدل على المعنى المقصود والأنسب كما جاء فى قوله تعالى وإذِ استَسقى موسى لقومهِ فقُلنا اضرِبْ بعصاكَ الحَجَرَ فانفجَرَتْ منه اثنتى عشرَةَ عيناً . وقوله تعالى فى موضع آخر وأوْحينا الى موسى إذِ استسقاهُ قومُهُ فقلنا اضرِبْ بعصاكَ الحجر فانبَجَستْ منهُ اثنتى عشرَةَ عيناً . فانه لما قال تعالى ـ استسقى موسى ـ ناسب انفجرت ولما قال ـ اذ استسقاه قومه ـ ناسب فانبجس لأن استسقاء موسى عليه السلام أبلغ من استسقاء قومه والانفجار أبلغ من الانبجاس لأن مقلوباته أمسّ بالماء من مقلوبات الانبجاس مع أن القصة واحدة والانفجار والانبجاس بمعنى واحد . وأما كون الاشتقاق نوعا من الجناس والجناس أعم منه والاتيان بالالفاظ المتفقة فى الاشتقاق والتجنيس من أنواع البيان فليس ذلك من البيان فى شئ اذ هو تحسين الالفاظ لا غير فهو من البديع ومن قصد شيئاً من ذلك إما أن يبقى المعنى على ما كان عليه من البيان أو ينقص بيانه لتكلف ذلك وليس فى ذلك ما يزيد فى بيان المعنى ومن قال ذلك فقد اشتبه عليه معنى البيان بالبديع

ومن البيان مراعاة الحروف ومعانيها ومواقع اللبس فيها واشتباه بعضها ببعض وهذا مما يحتاج الى الطباع السليمة والتدرُّب فى معانى الشعر والخطب وما جاء من كلام العرب فى مكاتباتهم الى غير ذلك مما استعملوه . ومن أعظم الاعوان على ذلك النظر فى القرآن العزيز وتفسيره وتأمل معانيه وليس هذا مما يقدر على تعامله كل أحد فان اجتماع الطباع السليمة والتبحر فى العلوم قليل من يتفق له فانظر الى حروف العطف فى قوله تعالى كلَّا لمَّا يقضِ ما أمرَهُ فلينظرِ الإنسانُ الى طعامهِ إنّا صببنا الماء صَباً ثمَّ شققنا الأرضَ شقًّا فأنبتنا فيها حَبا وعِنباً وقَضْباً وزيتوناً ونخلاً وحدائقَ غُلْباً وفاكهةً وأبًّا متاعاً لكم ولأنعامِكم فاذا جاءتِ الصاخّةُ يومَ يفرُّ المرء من أخيهِ وأمّهِ وأبيه وصاحبتهِ وبنيهِ . لما زجر بكلا وأخبر أن المرء لم يقض ما أمر به عقب الزجر بالأمر

فأتى بالفاء مستأنفاً للجملة الأخرى وتعقيباً للزجر بالأمر وتنبيهاً على أن غفلة الانسان مما ينبغى له سبب لأن يوعظ فالفاء ههنا دلت على الاستئناف والتعقيب والتسبب وعطف شق الارض على صب الماء بثم اذ لابد بينهما من مهلة وقال ـ فأنبتنا ـ اذ انشقاق الارض بالنبات فلا مهلة بينهما ثم عطف النبات بعضه على بعض بالواو لأن فيه ماينبت بعضه مع بعض وما ينبت بعضه عقيب بعض وما يتقدم بعضه على بعض ويتأخر من غير تعقيب . والواو تستعمل فى هذه المواضع كلها اذ هى لمجرّد الاشتراك ثم قال ـ فاذا جاءت الصاخة ـ وليس وقت مجيئها عقيب ما قبلها فهى لتعقيب الوعظ بعضه ببعض اذ هو من توابع الزجر وليس فى هذا العطف تعرض لتوالى الأوقات ثم قال ـ يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ـ فعطف بالواو لأنه يفرّ من المفرور منه اذا لقيه ولقاؤه لهم قد يكون فى وقت واحد وقد يكون فى أوقات مختلفة والواو هى الجامعة لذلك كله وقدم الأخ على الأم والأم على الأب والأب على الصاحبة والصاحبة على الأبناء انتقالا من كل واحد الى من هو أعز منه وأشدّ حفاوة والأب وان كان كالأم أو مرجوحا من جهة البرّ فانه يرجى نصره أكثر من الأم والمحافظة على الرجال أشدّ منها على النساء وأخر الصاحبة عنه وان كانت لا يرجى نصرها لزيادة الأنس والمودّة التى جعل الله بينهما وأخر البنين عنها لأنهم الغاية والنتيجة وزيادة حبهم بالطبع على كل أحد . وانظر الى حروف الجر فى مثل قوله تعالى وإنّا أو إياكم لعلى هدًى أو فى ضلال مبين . استعمل ـ على ـ بالنسبة الى الهدى و ـ فى ـ بالنسبة الى الضلال مع أن كل واحد منهما يجوز أن يقال فيه ـ على . وفى ـ لأن الهدى من الله والله الهادى والدال على طريق الهدى فكل من هدى ودل فهو على الهدى ولا يوصف أحد بأنه فيه الا لقربه وعلوّ مرتبته وهذا لا يكون الا للآحاد ممن يشاء الله فاستعملت ـ على ـ لشمولها وأما الضلال فيوصف به من ضلّ عن الهدى ومن لم يهتد بعدُ وهو مما ينسب الى الانسان على سبيل الأدب مع الله فالضلال محيط بالضال بالطبع حتى يهديه الله ففى هنا استعملت لانها أبلغ من على وأيضاً فان الترديد ههنا فى الظاهر وأما فى نفس الأمر فالمشركون هم فى الضلال منغمسون غاية الانغماس فتكون ـ فى ـ أنسب . وقوله تعالى ولأُصَلِّبَنَّكم فى جذوع

النخل . ولم يقل على لأن ـ على ـ تقتضى العلوّ ـ وفى ـ تقتضى الظرفيّة والمصلوب بالنسبة الى أعلا النخلة وأسفلها ـ فى ـ وبالنسبة الى جانبيها ـ على ـ والمصلوب من الممكن أن يُجعل فى خشبة فوق النخلة ولا يمكن أن يجعل فى جوفها فكانت ـ فى ـ هاهنا أولى من ـ على ـ لعدم اللبس ومثل هذا فى الأدوات كثير

ومن البيان التكرير وينقسم ثلاثة أقسام . تكرير اللفظ والمعنى . وتكرير اللفظ دون المعنى . وتكرير المعنى دون اللفظ .. أما تكرير اللفظ والمعنى اذا لم يكن بين أفراد المكرر تفاوت أصلا فهو لمجرد التوكيد .. فمن ذلك تكرير الكلمة الواحدة كقولك جاء جاء زيد أو جاء زيد زيد والتوكيد لرفع اللبس فقد يكون بالنسبة الى ما فى نفس السامع أو الى ما فى نفس المسمِع أو الى ما فى نفسيهما أما فى نفس السامع فهو أنه لم يسمع وأما فى نفس المسمع وهو ظنه ان السامع لم يسمع وقد سمع وأما فى نفسيهما فهو أن يكون اللفظ محتملا للمجاز والحقيقة فيكون التكرار لمثل ذلك لأن المجاز والحقيقة يكونان بالنسبة الى كل واحد منهما وما يناسب ذلك .. ومن ذلك تكرير أكثر من كلمة . فنه ما جاء فى سورة الشعراء من قوله تعالى إنَّ فى ذلك لآيةً وما كان أكثرُهُم مؤمنين وإنَّ ربَّكَ لهو العزيزُ الرَّحيم .. أما التكرير فلأجل الوعظ فانه قد يتأثر بالمكرر من لم يتأثر بالمرة الواحدة . وأما مناسبة قوله ـ انّ فى ذلك لآية ـ فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام والتعجب من تخلف من لم يؤمن بآياتهم مع ظهورها . وأما مناسبة قوله ـ العزيز الرحيم ـ فانه تعالى نفى الايمان عن الأكثر ودل بالمفهوم على ايمان الأقل فكانت العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن وهما مرتبان كترتيب الفريقين . ومثل ذلك ما فى سورة الرحمن تعالى من قوله تعالى فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان فهو استفهام على سبيل التوضيح . ومثل ذلك أيضا ما فى سورة المراسلات من قوله تعالى ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين . للتهديد . ومن ذلك قوله تعالى إنَّ مع العُسْرِ يُسْراً إنَّ مع العسرِ يُسراً . فقد تكرر العسر مرتين واليسر مرتين . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لن يَغلبَ عُسرٌ يُسرَين . فمعنى ذلك ان اليسر كرر توكيداً لكونه مع العسر وأما العسر فكرر ضمناً لليسر فلفظ العسر مكرر ومعناه ليس مكرر فهو عسر واحد ولذلك

عرف باللام واللام للطبيعة وليس تكراره للتوكيد بخلاف اليسر فانه كرر توكيداً لكونه مع العسر حيث وجد وذلك من لطف الله ورأفته بخلقه • ومما يدل أيضاً على تكرير لفظ اليسر ومعناه معاً كونه نكرة لأن النكرة تطابق آحاداً كثيرة وطبيعة الجنس لا ثانى لها•• وأما ماتكرر لفظه دون معناه فكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها •هاهنا اللفظ مكرر وانتصار المبنى عليه باذن الله تعالى عدل وانما سميت سيئة لكونها جزاء السيئة فقوله تعالى -سيئة مثلها- لا يقوم ههنا غيرها مقامها لأن مراده تعالى المماثلة فى الجزاء من كل وجه فلو قال سيئة ولم يقل مثلها لم تفهم المماثلة التى هى عين العدل ولو قال مثلها ولم يقل سيئة احتمل أن تكون المماثلة من غير جنس أو فى بعض الأوصاف كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حُرُمٌ ومَن قتله منكم متعمدًا فجزاءٌ مثلُ ما قَتَلَ منَ النَّعَمِ يحكمُ به ذَوَا عدلٍ منكم . فهذه المماثلة من كونها جزاء ومشابهة فى بعض الأشياء وكذلك أسندها الى حكم العدلين لتطرق المنازعة فى المثلية بخلاف ما اذا قطع انسان يمين انسان فان قِبالة ذلك قطع يمين القاطع ولا يفتقر الى عدلين • ومن تكرير اللفظ دون المعنى قول أبى منصور الثعالبى

واذا البلابلُ أفصحَتْ بلغاتِها فانفِ البلابلَ باحتساءِ بلابلِ

لأن الأول جمع بلبل وهو الطائر المعروف والثانى جمع بلبال وهو الهم يختاج فى الضمير والثالث جمع بلبلة الابريق يشرب منه الخمرة فأطلق اسمها على الخمرة وهذا من مليح التجنيس • والذى يقبح تكراره كقول المتنبى

فقلقلتُ بالهمِّ الذى قلقلَ الحشا قلاقلَ عيشٍ كلهنَّ قلاقلُ

فان كل قلقلة فيه واحدة ••وأما تكرير المعنى دون اللفظ فكقول القائل أطعنى ولا تعصنى الجملتان أمر ونهى معناهما واحد لأن الامر بالشئ نهى عن ضده والمعصية ضد الطاعة لكن النهى يستغرق والامر لا يستغرق وقد يستغرق فاذا أراد بقوله أطعنى للاستغراق كان قوله بعد ذلك ولا تعصنى تبيينا لهذا المعنى ونفياً لطلب الطاعة الجزئية فى الامر المخصوص••وأما الالفاظ المترادفة فانها بالفرض ألفاظ مختلفة على معنى واحد وهذا قد تقدم القول عليه انه لابد من تمايز بين معانى الالفاظ المختلفة على شئ واحد

سواء اطلعنا عليه أو لم نطلع . ومن ذلك قوله تعالى ومن يُطعِ الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك همُ الفائزون . والخشية والخوف والتقوى تستعمل بمعنى واحد . ومنه قول أبى العلاء المعرى

تقتكَ على أكتاف أبطالِها القَنا وهابتْكَ فى أغمادهنَّ المناصلُ

وهابتك وخافتك بمعنى فنسبة الخوف والتقوى الى هذين الجمادين لا يختلف وأما الخشية والتقوى فى الآية وان كان غالباً لا توجد احداهما دون الأخرى فان الخشية قد توجد للسفيه الضعيف الرأى والعقل ولا يتقى ما خشيه فيكون تكرارهما فى الآية لهذه الزيادة فى المعنى

ومن البيان التناسب وهو فى الالفاظ وفى المعانى وأكثرمايحتاج اليه فى الالفاظ لان المعانى التى تطلب لا يلزم فيها ترتيب ولا مناسبة فان المتكلم قد يفتقر الى ذكر الاشياء المناقضة والمتضادة والمتغايرة والمتنافرة وحيث لا يفتقر الى شئ من ذلك فهو التناسب فكأنه مضطر الى مايأتى به اذا كان مراداً . فانذكر تناسب الالفاظ الذى هو معين على بيان المعانى . فمنه المقابلة وهو أن يذكر الشئ ثم يقابله بمناسبه أو ضده . والمقابلة بالضد هى التى يسميها جمهور أئمة البديع المطابقة . فأما المقابلة بالمناسب فكقوله تعالى أللهُ ربُّنا وربُّكمْ لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكمْ لا حُجَّةَ بيننا وبينكم أللهُ يجمَعُ بيننا واليه المصير . قابل فى هذه الآية بين ـ ربنا وربكم ـ وبين ـ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ـ وبين ـ بيننا وبينكم ـ وربنا وربكم معناه واحد وهو الله تعالى فالمقابلة بين النسبتين والمقابلة بين ـ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ـ من ثلاثة وجوه . لنا ولكم وجه . وأعمالنا وأعمالكم وجهان . الاعمال ونحن وأنتم والاعمال غير الاعمال وان شملهما اسم واحد وهاتان المقابلتان فى الاثبات . وقوله ـ لاحجة بيننا وبينكم ـ البين هاهنا كالاعمال والضمير المضاف اليه كالضمير المضاف اليه فى الاعمال والمقابلة للعامة ثم بيّن الاثباتين وهو لنا ولكم والمقابلة هنا بين النفيين نفى الحجة عنا ونفى الحجة عنكم لكن هذه المقابلة معنوية ليست لفظية اذ لفظ الحجة واحد وابتداء هذا الكلام قوله تعالى ـ ألله ربنا وربكم ـ وختمه ـ ألله يجمع بيننا واليه المصير ـ وفى هذا اشارة الى أن

الامر لله أولا وآخراً وأتى باسم الله ثانياً مظهراً ولم يأت به مضمراً للتعظيم ووحد البين فى قوله تعالى - يجمع بيننا - مناسبة لقوله يجمع وهذه من المناسبة المعنوية التى هى المقصود فى البلاغة والبيان وكمل بقوله - واليه المصير - ليعلم أن الجمع المراد فى المعاد وحين المجازاة على الأعمال وأتى بالضمير ولم يأت بالظاهر نفياً لتوهم المغايرة بين الجملتين ومنه قول الشاعر

فجاؤا عارضاً بَرِداً وجئنا ... كمثل السيلِ نركبُ وازعينا
فنادَوا يالَ بُهثةَ اذ رأونا ... فقلنا أحسنى ضرْباً جُهينا
فلمّا لم نَدَعْ قوْساً وسَهماً ... مَشينا نحوَهم ومشوْا الينا
تلألُؤَ مُزْنةٍ بَرَقتْ لأخرى ... اذا حَجلوا بأسيافٍ رَدَينا
شدَدْنا شدّةً فقتلتُ منهم ... ثلاثةَ فِتيةٍ وقتلتُ قَينا
وشدُّوا شدّةً أخرى فجرُّوا ... بأرْجلِ مثلِهمْ ورَموا جُوَينا
وكان أخى جُوَينٌ ذا حِفاظٍ ... وكانَ القتلُ للفتيان زينا
فآبوا بالرّماحِ مُكسراتٍ ... وأُبْنا بالسيوفِ قد انحنينا
فباتوا بالصّعيد لهم أجاجٌ ... ولو خفّتْ لنا الكَلْمى سَرَينا

قال فى البيت الأول - فجاؤا عارضاً برداً وجئنا كمثل السيل - فقابل بين سيبين متماثلين وشبههما بشيئين مختلفين لما بينهما من الاشتراك فى أن كل واحد منهما لا يرتد وبين ما أراد بقوله - نركب وازعينا - وهذا من الاختصار البليغ والمشبه بهما وان أراد به ما اجتمعا فيه وان كانا مختلفين فهما من جنس الماء واختلافهما فى الاسم وشبه أحدهما بأداة التشبيه والآخر بغير أداة التشبيه لكن أتى بقوله - كمثل - والكاف بمعنى مثل فكأنه قال مثل مثل ومثل مثل الشئ هو هو فصار معنى قوله جاؤا عارضاً وجئنا سيلا وكان اتيانه بالأدات اقامة للوزن ثم قال

- فنادوا يال بهثة اذ رأونا ... فقلنا أحسنى ضرباً جهينا -

معنى نادوا وقلنا واحد فى مقصوده واللفظ مختلف وكذلك قوله - يال بهثة - وقوله - أحسنى ضرباً جهينا - معناها واحد واختلفا بالتقديم والتأخير والاضمار والاظهار

فان معنى قوله ـ يال بهثة ـ يال بهثة أحسنى ضرباً فأحسنى ضرباً فيه مضمر وهو متأخر فى الرتبة ومعنى قوله ـ أحسنى ضرباً جهينا ـ يال جهينة أحسنى ضرباً فأخر المتقدم وقدم المتأخر ولم يضمر وكان فى ذلك اقامة للوزن وترك للتكرار فان التكرار مما لايحسن فى كثير من المواضع وهذا التقديم والتأخير فى هذا البيت والمخالفة أحسن من التكرار والموافقة لو ساعد الوزن ثم قال

ـ فلما لم ندع قوساً وسهماً مشينا نحوهم ومشوا الينا ـ

المعنى فى مشينا ومشوا واحد واللفظ واحد واختلفا فى ضمير الفاعل وهو أمر ضرورى ومعنى نحوهم والينا واحد واللفظ مختلف وفيه من العذر والحسن مافى ماقبله وفى قوله ـ لم ندع قوساً وسهماً مشينا نحوهم ومشوا الينا ـ تقابل أيضاً من جهة المعنى وطباق وان لم يذكر لفظه فانه قال لما أفنينا العدة التى يقاتل بها من البعد تقاربنا لنقاتل بالعدة التى يقاتل بها من القرب فهذه مقابلة بين البعد والقرب وطباق من حيث ان القرب والبعد ضدان وهذا التقابل والطباق مفهوم من فحوى اللفظ لا من ظاهره ثم قال ـ تلألؤ مزنة برقت لأخرى ـ كانه قال برقت لمزنة فالمعنى أيضاً واحد واللفظ متغاير والتلألؤ والبريق المراد به نسبة كل فرقة الى الاخرى والبرق يحدث من تصاك أجرام السحاب فقوله ـ برقت لأخرى ـ يجوز أن يريد به لتصادمهما ـ والحجل والرديان ـ ضربان من السير غير أن الرديان أسرع من الحجل وأقل كلفة فهو دليل على تفضيل الشاعر قومه بما يدل على الشجاعة لكنه فضل المقاتلين لهم بالابتداء فلم يخرج عن الانصاف ثم قال

ـ شددنا شدة فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتيـة وقتلتُ قَينا ـ
ـ وشدُّوا شدةً أخرى فجرُّوا بأرجل مثلهم ورموا جُوينا ـ
ـ وكان أخى جُوينٌ ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا ـ

وفى هذه الابيات الثلاثة مقابلة بين القتل وعدد القتلى وهو سواء الا أنه رجح قومه بالابتداء فى الشدة ورجح أخصامه بقتلهم لجوين اذ وصفه بالحفاظ فكان فى قوله ـ وكان أخى جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا ـ

ترجيح لاخصامهم ورثاء لاخيه واقامة عذره مع أنه قتيل وهـذا من أحسن الشعر وأبلغ الـكلام ثم قال

ـ فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا ـ

ـ وباتوا بالصعيد لهم أجاج ولو خفّت لنا الـكلمى سرينا ـ

ومراده فى هذين البيتين التسوية بينهما من كل وجه وانما ألجاه الى المخالفة بين الالفاظ وزن الشعر والجواب عن توهم المفاضلة من جهة اللفظ اما تقديم اياب أخصامه الذى يدل على الضعف فان الواو تقتضى التشريك وحقيقة التشريك المعية فهو مراده ولم يرد التقدم فى الزمان وأما تكسير رماح الاخصام وانحناء سيوف قومه يوهم تفضيل قومه لأن المقاتل بالسيف أشجع من المقاتل بالرمح لكن الرماح والسيوف هى غالب سلاح العرب وهى سلاح قومه وسلاح أخصامهم ولا يقاتل صاحب السيف به الا بعد قتاله بالرمح فتكسير رماح أخصامه وقتال قومه بالسيوف حتى تحنت دليل على تكسير رماح الفئتين وتقاتلهما بالسيوف حتى تحنت وكذلك الاجاج انما هو من الاعياء والجراح فهو مقابل للتصريح بالكلوم وامتناع السرى للـكلوم مبيت فقد سوى بين الفئتين فى الاعياء والـكلوم والمبيت وهو غرضه وان اتفق فى اللفظ ترجيح مّا لاخصامهم فذلك لشدة انصافه وتحرزه من الجور فى ترجيح قومه والمناسبات ومحاسنها ولطائفها كثيرة وحصرها مشق مطلقاً ومقيداً بالمقابلات بل يكاد يكون متعذراً على كل واحد واحد من البشر وذكر الـكثير منه لا يليق بهذا المختصر لكن نذكر شيئاً مما ذكر وبحث فيه بحيث لا يكون مخلا بالاختصار ولا نكون مخلين بشئ مما يقتضيه التقسيم المذكور فى مواضعه ٠٠ومن ذلك قوله تعالى إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون . حصل أولا المماثلة فى المتقـابلين من كل وجه بقصد وثانياً التناقض فى المتقابلين وهما ـ ترجون ولا يرجون ـ وهو اللفظ الذى يلجأ فى تفسير النقيضين اليه وفى الآية أيضاً المقابلة بين ـ الالم والرجاء ـ وهما متغايران لكن المؤلم مكروه والمرجو محبوب فالمقابلة بينهما للتضاد وفى مقابلة المقابلة الاولى بالمقابلة الثانية ترجيح لالم الكفار فان الالم ولا رجاء أشد من الالم مع الرجاء ولا يقال قد شبه ألم الـكفار بألم المؤمنين وذلك

يقتضى ترجيح ألم المؤمنين لانا نقول ألم المؤمنين مشروط بان والمشروط بان غير مقطوع بوقوعه وألم الكفار مؤكداً بانّ للتحقيق وفى ذلك ترجيح ظاهر لا يقابله ماذكر من المشبه والمشبه به ولسان المدح وبلاغة المنطق يعجزان عن الاحاطة بكنه محاسن هذه الآية واعجازها بل عن كل آية فتعالى اللهُ عما يقولون علواً كبيراً .. ومن عيوب المقابلة مقابلة الشيء بما لا يناسبه ولا يضاده ولا يناقضه فى لفظ ولا معنى كقول الكميت

وقد رأينا بها حُوراً منعَّمةً ... بِيضاً تكاملَ فيها الدَّلُّ والشنَبُ

فانه جمع بين الدل والشنب ولا جامع بينهما من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى والعيوب كثيرة أيضاً ولا حاجة بنا الى تفصيلها غير أن من حصلت له ملكة فى علم البيان عرف كل شيء منها اذا وقع

ومن البيان التقسيم والتقسيم يكون تارة للواقع فيما الانسان بصدده ولا يلزم فيه استيعاب وتارة يكون التقسيم مقصوداً منه الحصر وهو على ضربين حصر الموجود وحصر الممكن فى العقل وان لم يكن موجوداً وحصر الموجود هو الواقع وهو الذى يكثر استعماله فى البيان .. وأما حصر الممكن العقلى فيحتاجه أرباب العلوم العقلية الالهى والطبيعى والرياضى والمنطق وهو محتاج اليه فى موضعه وعليه تبنى البراهين وفى كثير منه غموض بحيث لا يصل اليه من الاذهان الاقليل فكيف لا يكون من علم البيان . ومثاله فى تقسيم الكلم الى ما يصح أن يخبر بمدلوله ويخبر عنه وما لا يخبر به ولا عنه وما يخبر عنه ولا يخبر به وما يخبر به ولا يخبر عنه فاقتضت القسمة الممكنة فى العقل أربعة والموجود منها ثلاثة ما يخبر به وعنه وهو الاسم وما لا يخبر به ولا عنه وهو الحرف وما يخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل وليس فى الكلم ما يخبر عن مدلوله ولا يخبر به فيكون المحتاج اليه فى تقسيم الكلم ثلاثة أقسام الاسم . والفعل . والحرف . وأما تقسيم ما المتكلم بصدده غير محتاج الى حصر الموجود فكتقسيم الفعل بالنسبة الى الزمان الى ماض وحاضر ومستقبل وكتقسيمه بالنسبة الى صيغه الى ماض ومضارع وأمر مع أن الفعل ينقسم الى ماض معنى وصيغة ومعنى لاصيغة كالمنفى بلم ولما والمضارع يشتمل على حاضر ومستقبل وماض وتفصل بينها القرائن فالماضى كالمنفى بلم ولما والحاضر

كالمقيد بالآن وما فى معناه • والمستقبل كالمقترن بالسين وسوف • والمنفى بلن • والفعل المستقبل ينقسم الى مضارع وأمر ووضع المضارع منه للاستقبال ووضع الأمر للطلب ويستلزم الاستقبال • وانتشار التقسيم كذلك قد لا يكون المتكلم محتاجا اليه فلا يعاب عليه عدم الاستيعاب • مثال التقسيم العقلى المستوعب للممكن قوله تعالى إِسْتَغْفِرْ لهم أو لا تَسْتَغْفِرْ لهم . فان الاستغفار وعدم الاستغفار لا واسطة بينهما فهو حصر للممكن ولا يقال إن العقل يحتمل أربعة أقسام فان الجمع بينهما محال وعدمهما محال إذ لا يمكن اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما •• ومن التقسيم البديع المستوعب الموجود قوله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذين اصطَفَينا مِن عِبادِنا فمنهمْ ظالمٌ لنفسهِ ومنهم مُقتصِدٌ ومنهم سابقٌ للخيراتِ ـ فالظالم لنفسه ممن أورث الكتاب هو المفرط فى الاكثر من الكتاب ـ والمقتصد ـ هو الذى حافظ على البعض وفرّط فى البعض ـ والسابق بالخيرات ـ هو الذى حافظ على الكتاب كله أو أكثره وتحديد ذلك عند الله ولم يفصله لنا فالتقسيم مستوعب الموجود ولا يلزم من امكان التقسيم الى أكثر من هذه الأقسام أن لا تكون هذه الأقسام مستوعبة لدخولها تحت هذه الأقسام الثلاثة فان قيل ان الذين أورثوا الكتاب هم المصطفون من العباد فكيف يكون منهم ظالم لنفسه قلنا المراد من المصطفين القبائل والأجناس لا الآحاد واذا لم يلزم الاصطفاء لكل واحد واحد أمكن أن يكون الظالم لنفسه من الآحاد • وفى القرآن من التقسيم الذى لا يستوعب الموجود كثير والقرآن معجز فكيف يقال فيه نقص من جهة التقسيم • ومنه قوله تعالى واللهُ خَلَقَ كلَّ دابّةٍ من ماءٍ فمنهم مَن يمشى على بطنهِ ومنهم مَن يمشى على رجلين ومنهم مَن يمشى على أربع • مع أن فى الدواب ما يمشى على أرجل كثيرة غير ذلك •• ومن التقسيم قول الشاعر

فقال فريقُ القومِ لا وفريقهم نعمْ وفريقٌ ليمُنُ اللهِ ما ندْرى

وهذا مستوعب الموجودين من القائلين المذكورين وفى الامكان أن يكون فى القوم من قال ذلك كله

ومن البيان التفسير وهو أن يذكر المؤلف ناظما كان أو ناثراً أشياء مرتبة ثم يفسرها فالمحمود منه أن يكون التفسير مرتباً ترتيب المفسر فان خالف بين التفسير والمفسر فى

الترتيب أخذ عليه ما لم يكن ذلك لمعنى .. ومما يخالف فيه الترتيب النظام لضرورة الوزن والقافية فيعذر فاعله . وقد يخالف الترتيب لمعنى غير النظم فتكون المخالفة أولى من الترتيب . ومنه قوله تعالى يَوْمَ تَبيَضُّ وُجوهٌ وتَسوَدُّ وُجوهٌ فأمّا الذين اسوَدَّتْ وُجوهُهم أكفرتم بعدَ إيمانِكم فذُوقوا العذابَ بما كنتم تكفرُون وأمّا الذين ابيَضَّتْ وُجوهُهم ففي رحمةِ اللهِ هم فيها خالِدُون . المراد التخويف من هول ذلك اليوم فلما وصف الحال فيه قدم الأشرف فقال — يوم تَبيضّ وجوه وتسودّ وجوه — ثم صرح بالتخويف فبدأ به في التفسير لأنه المهم والمقصود في هذا المقام وأخر — الذين ابيضت وجوههم — وختم الآية بالرحمة اشعاراً لشمولها .. ومما جاء مرتباً في القرآن العظيم قوله تعالى يومَ يأتي لا تكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنِهِ فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ فأمّا الذين شقُوا ففي النارِ لهم فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ خالدين فيها ما دامتِ السموات والأرض إلاّ ما شاء ربُّكَ إنَّ ربَّكَ فعَّالٌ لِمَا يُريد وأمّا الذين سُعِدُوا ففي الجنّةِ خالدين فيها ما دامتِ السموات والأرضُ إلاّ ما شاء ربكَ عطاءً غيرَ مَجذُوذٍ . قيد في هاتين الآيتين الخلود بدوام السموات والأرض واستثنى ما شاء وأخبر أهل السعادة أن عطاءهم غير مجذوذ عناية بهم واحسانا اليهم وقال عند خلود أهل الشقاء — إن ربك فعال لما يريد — ففي ذلك تنبيه على سعة رحمته واطماع في عفوه وذلك مما يزيد في عذاب المعذب فان اليأس مريح وفي ذلك لهم راحة من وجه وتعب من وجه .. ومن ذلك ما جاء في الشعر كقول الشاعر وقد قتل أخوه ابنه فأتي به ليقص منه فأطلقه

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً ... إحدَى يدَيَّ أصابتني ولم تُرِدِ
كِلاهما خَلَفٌ مِن فقدِ صاحبِهِ ... هذا أخي حين أدعوهُ وذا وَلَدي

والمفسر في هذين البيتين ليس فيه ترتيب في اللفظ فانه جمع بين أخيه وابنه في قوله — إحدى يدي — وقوله — كلاهما خلف — لكن الحي الحاضر أخوه والميت الغائب ابنه فالحاضر الحي مقدم في المعنى فلذلك رتبه فقال — هذا أخي وذا ولدي — ومن ذلك قول عبد الله بن همام

رأيتكَ تُقصى مَن يوَدُّك قلبهُ وتدنى الذى يَطوى الأذى فى الجوانحِ (١)

وقد يَستغشُّ المرءُ مَن لا يغشه ويأمنُ بالغيب امرأً غيرَ ناصحِ

ومن البيان التوكيد وعدمه ويكون فى الخبر والأمر والنهى والحاجة الى التوكيد فى الأمر والنهى أشد ويكون التوكيد فى الخبر بانّ وباللام وفى الأمر والنهى بالنون • ومن شأنهم أن يخبروا بالفعل الماضى عما وقع اذا لم يقصدوا التوكيد واذا قصدوه أخبروا عنه بالجملة الاسمية المؤكدة بان كقولهم قام زيد وان زيداً قائم وان احتاج الى زيادة توكيد قيل ان زيداً لقائم وقد توكّد الجملة الفعلية بقولهم لقد واذا احتيج الى أكثر من ذلك أتى بالقسم مع كل واحدة من الجملتين • وقد توكّد الجملة الاسمية باللام فقط فى قولهم لزيد قائم • وقد تجىء – قد – مع الجملة الفعلية مضمرة بعد اللام فى مثل قول امرئ القيس .

* لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صالى *

وقد جاء فى القرآن العزيز قوله تعالى فلماّ جَهَّزَهُم بجهازِهم جعلَ السقايةَ فى رَحْل أخيهِ ثم أذَّن مؤذّنٌ أيتها العيرُ إنكم لسارقون . لما أخبر عن أحوال يوسف عليه السلام لم يكن محتاجاً فى الخبر الى توكيد فقال – جهزهم – وجعل – وأذّن – من غير توكيد ولما أراد أن يعظم الامر على إخوته لم يقل سرقتم وقال – انكم لسارقون – وهذه القضية وان كانت مؤكّدة فليسوا فيها بسارقين فيقال كيف جاز أن يقال لهم ذلك فالجواب أن يوسف عليه السلام يجوز أنه كان يعلم منهم سرقة فى وقت آخر أو يجوز فيما فعلوه من بيعه وأخذ ثمنه باطلا فسماه سرقة • وجاء أيضاً قوله تعالى أفرأيتم ما تحرُثون أأنتم تزرَعونه أمْ نحن الزارِعون لوْ نشاء لجعلناه حُطاماً فظَلتم تفكَّهون . فوكّد باللام • وقال فى الماء لوْ نشاء جعلناهُ أُجاجاً . من غير توكيد لما كانت الحاجة

---

(١) وجد فى صلب النسخة البيتان الآتيان وعليهما علامة الشطب وبالهامش البيتان اللذان الحقناهما بالأصل وعليهما علامة الصحة

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُب فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

بيضُ الصفائحِ لاسُودُ الصحائفِ فى مُتونهنّ جَلاء الشكّ والرِّيَبِ

الى الأكل أشدّ من الحاجة الى الشرب وقد قيل ان الماء يمكن الاستغناء عنه بما فى الاطعمة من الرطوبة ويؤيد ذلك ان فى الحيوان ما لا يشرب وليس فى الحيوان ما لا يأكل فكان التوكيد فى منع الطعام أشد عليهم من التوكيد فى منع الشراب

ومن البيان التفريط إهمالا والافراط اهتماما والاقتصاد وهو الاعتدال المتوسط بينهما • والتفريط ان يكون اللفظ قاصراً عما تضمنه من المعنى • والافراط ان يكون اللفظ أبلغ من المعنى • والاقتصاد أن يكونا متساويين ومثال ذلك أن يَقدُمَ زيد مثلا من سفر بأحوال وأمور فالمخبر عنه المفرط يقول قدم زيد ولايصف أحواله وما جاء به والمقتصد يقول قدم زيد ومن شأنه كذا وكذا من غير غلو والمفرط هو الذى يخبر بذلك ويبالغ فى تعظيمه وتعظيم أحواله بحسبها • ومثال ذلك كله قول عتيبة بن شهاب حين فرّ عن ابنه

* نجيتُ نفسى وتركتُ حَزْرَهْ *

هذا الكلام مساو لمدلوله ليس فيه مبالغة ولا تفريط ثم قال

* نِعمَ الفتى غادَرْتُه بِثَبْرَهْ *

هذا اخبار عن الموضع الذى غادره فيه ثم مدحه مع ذلك فقال ـ نعم الفتى ـ مفرطاً فى تقبيح فعله به ثم قال

* لَنْ يَترُكَ المرْءُ الكريمُ بكْرَهْ *

مفرطاً فى ذم نفسه على ما فعل فان المساوى لذلك أن يقول اللئيم من ترك بكره • • وقد ينتهى الافراط الى الاحالة أو ما يقرب منها وذلك مما ينتقد • مثال الاحالة قول المتنبى

وَضاقتِ الأرضُ حتى كادَ هارِبُها اذا رأى غيرَ شىء ظنه رجلا

لأن رؤية غير شئ محال • ومثال ما هو قريب من الاحالة قوله أيضاً

ولو قلمٌ أُلقيتُ فى شقّ رأسهِ من السُّقم ماغيرتُ من خط كاتبِ

وقد عد بعضهم قول أبى تمام

مازال يَهذِي بالمكارمِ والعلا حتى ظننا أنه محمُومُ

تفريطا من كونه قال ـ يهذى ـ وشبهه بالمحموم وذلك ليس تفريطا وانما هو سوء أدب

فى حق الممدوح وأما المعنى فهو من الافراط المقارب للاحالة . وأما ما نسب الى عنترة فى قوله

وأنا المنيَّةُ فى المواطنِ كلّها والطعنُ مِنى سابِقُ الآجالِ

من الافراط فليس بشىء فانه لم يفرط ولم يأت بما يعاب عليه فان قوله - وانا المنية - من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ومراده أنا سبب المنية والألف واللام فى المواطن للعهد فلا وجه للافراط وقوله - والطعن منى سابق الآجال - معناه ان طعنى يستتبع موت المطعون والأجل محتم فكان طعنى سابقه إذ يقع قبله والأجل تابعاً له

ومن البيان تخليص الالفاظ بعضها من بعض والمعانى بعضها من بعض واجتناب اختلاطها وهو الذى أطلق عليه جمهور أهل البيان المعاظلة - والمعاظلة - مأخوذة من تعاظل الكلاب والجراد فى السفاد وهو التعلق الذى يعسر انفكاكه . فمثال اختلاط الالفاظ بالتقديم والتأخير قول بعض الاعراب

أحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ مُنعِجٍ الىَّ وسلمى أنْ يصُوبَ سحابُها

لأن الترتيب أن يقال أحب بلاد الله أن يصوب سحابها الىَّ ما بين منعج وسلمى

ألقِ الصحيفةَ يا طريفةُ إنَّنى لا أخشى عليكَ من الحِباءِ النقرِسِ

لأن النقرس خبر ان ومحله قبل - أخشى - وأما اختلاط المعانى بالتقديم والتأخير فكقول الشاعر

ولم أرَ مثلَ الحىِّ حياً مُصبَّحاً ولا مِثلنا يومَ التقينا فوارسا

أكرَّ واحمى للحقيقةِ مِنهمُ وأضربَ مِنا بالسُيوفِ القَوانِسا

معناهما لم أر مثلا للحى أكرَّ منهم ولا مثلا لنا أضرب منا فخلط المعنيين والالفاظ الدالة عليها وفى اعرابهما إشكال وفيهما شذوذ من بناء أفعل التفضيل مما ليس من الغرائز . وقال قدامة التعاظل هو تداخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك الا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حجر

وذاتِ هِدمٍ عارٍ نواشرُها تُصمِتُ بالماءِ تولباً جدِعا

فسمى الصبي تولباً والتولب ولد الحمار هذا لفظ قدامة . . ومن العجب أنه عرف التعاظل بلفظ يدل عليه وفسره بما لا يدل عليه وليس به

ومن البيان التضمين ـ والتضمين ـ مستعمل فى علوم الأدب على أنواع . منها تضمين القافية وهو أن تكون الكلمة التى هى آخر البيت متعلقة بالبيت الذى بعده كقول بشر بن أبى خازم

وكعباً فسائلهمُ والرِّبا ... بَ وسائلْ هوازنَ عنا اذاما

لقيناهم كيف نعليهم ... بواترَ يفرين بَيضاً وهاما

وذلك من عيوب القافية وليس من البيان فى شىء . . ومنها أن يكون معنى البيت متعلقاً بالبيت الثانى ولا يتم معناه الا به كقول زهير بن أبى سلمى

لَعَمْرُكَ والخطوب مغيِّراتٌ ... وفى طول المعاشَرَة التقالى

لقد باليتُ مظعنَ أمِّ أوفى ... ولكن أمُّ أوفى لا تبالى

وهذا أيضاً يختص بالشعر وأثره فى البيان ضعيف . ومنها أن الناظم أو الناثر يستعمل كلام غيره فى كلامه مع التنبيه على أنه ليس له انما استشهد به الا أن يكون من الشهرة بحيث لا يلتبس بكلامه كالقرآن والاشعار المشهورة عند أكثر الناس وهذا مما يستحسن فى البيان كقول الخطيب عبد الرحيم بن نباتة فى ذكر يوم القيامة « فيومئذ تفد الخلائق على الله بُهماً . فيحاسبهم على ما أحاط به علماً . وينفذ فى كل عامل بعلمه حكماً . وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً . ومنه قول ابن المعتز

ولا ذنبَ لى إنْ ساءظنك بعدما ... وفيتُ لكم ربى بذلك عالمُ

وها أنا ذا مستعتبٌ متنصِّلٌ ... كما قال عباسٌ وأنفِى راغمُ

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممن تحبهُ ... وإن كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالمُ

وهذا البيت معناه فيما استعمله المضمن . ومن أنواع التضمين ما معناه فى الأصل غير المعنى الذى أريد به حالة التضمين كقول الشاعر

يا سائلى عن خالدٍ عهدى به ... رَطْبُ العِجان وكفُّهُ كالجلمدِ

كالأقحوانِ غداةَ غِبِّ سمائهِ ... جَفَّتْ أعاليهِ وأسفلهُ ندِي

البيت للنابغة فى تشبيه الثغر فأخذه وصرف معناه الى هجاء خالد وهذا البيت لم ينبه المضمن له على أنه مضمن لشهرته وشهرة قائله

ومن البيان الاستدراج وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه وهذا باب واسع وهو أن يقدم المخاطب ما يعلم أنه يؤثر فى نفس المخاطب من ترغيب وترهيب واطماع وتزهيد وأمزجة الناس تختلف فى ذلك فينبغى أن يستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم الا يسيرا بل ينبغى أن يكون فى مزاج الانسان قوة تؤديه الى ذلك وهى تصرف فى الكلام كتصرف الانسان فى أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه . ومن أحسنه موقعا وأشده تلطفاً قوله تعالى اذهبا الى فرعونَ إنه طغى فقولا لهُ قولاً ليناً لعلهُ يتذكر أو يخشى. فأمر سبحانه بالتلطف والاستدراج بقوله ــ فقولا له قولا لينا ــ ثم قال تعالى قالاَ ربَّنا إننا نخافُ أن يَفرُطَ علينا أو أن يَطغى قال لا تخافا إنى معكما أسمعُ وأرى . فأمنهما تعالى ثم علمهما كيف يخاطبانه فقال تعالى فأتياهُ فقولا إنا رسولا ربّك فأرسلْ معنا بنى إسرائيل ولا تُعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك والسلامُ على مَن اتبعَ الهدى إنا قد أوحىَ الينا أنَّ العذابَ على مَن كذَّبَ وتولى . فقولهما ــ إنا رسولا ربك ــ نسبة اليه ولم يقولا انا رسولا ربنا من التلطف البديع وقوله ــ ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ــ أيضاً غاية فى التلطف فانهما طلبا منه بنى اسرائيل ولم يصرحا له بدعوته الى الايمان واخراجه عما هو عليه وأسندا ذلك الى الآية استمالة له الى رؤيتها ثم قالا ــ والسلام على من اتبع الهدى ــ ولم يقولا له اتبع على سبيل الأمر ابقاء لعظمته فى نفسه ثم أنبآه بما هو أشد وهو الذى قدم التلطف بين يديه فقالا ــ إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ــ وفى هذا أيضاً تلطف اذ لم يخصاه به وذكراه على سبيل العموم الذى يستلزم دخوله فيه ثم قال تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى . ثم قال تعالى حكاية عن جواب موسى عليه السلام اذ هو المسئول قال ربُّنا الذى أعطى كلَّ شىء خلقهُ ثم هدَى . فأجابه بالجواب المطابق لسؤاله المتضمن لكون ربهما ربه وذلك قوله ــ اعطى كل شىء خلقه

ثم هدى ـ ثم قال تعالى حكاية عن قول فرعون قال فما بالُ القرونِ الاولى. سأل عن أمر مغيب مهما أخبره بهعنه يمكنه انكاره قصداً للمغالطة ولذلك لم يجبه موسى عليه السلام الا بقوله علمها عند ربى فى كتابٍ لا يضلُّ ربى ولا ينسى . وفى قوله ـ علمها عند ربى ـ ولم يقل عند ربنا ولا عند الله إشارة الى امكان علمه عليه السلام بها ثم عدد عليه نعم الله وآياته تلطفاً لاستمالته أيضاً بقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سُبلاً وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى كلوا وارعوا أنعامكم إنَّ فى ذلك لآياتٍ لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدُكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى. فقوله بعد ما عدد من النعم بضمير الغائب وهو المتكلم به ـ فأخرجنا به أزواجا ـ بضمير المتكلم الذى لا يجوز أن يكون المتكلم به عن نفسه الا الله اعلام لفرعون أن جميع ما قاته لك من الله وليس منى ثم عقب ذلك بذكر نعمه واباحتها لهم وكونها آية لا تخفى على ذوى النهى ثم أعلمهم أنه خالقهم من الأرض برحمته ويعيدهم اليها بقدرته ثم يخرجهم منها للجزاء وذلك لعدله وبحكمته وفى هذا القول دليل على أن لا إله الا هو ولا رب غيره وهذا هو الذى لم يفاجأ به فرعون أولا وتلطف به فى طريقه مع انه من لطيف الكلام

ومن البيان أن المتكلم يحصل فى ذهنه ما يؤول اليه كلامه فيضع أول كلامه دالا على آخره وقد يكون مستدعياً لقوافى مخصوصة كما فى الشعر .. ومنه قول بعضهم

ومُستخبرٍ عن سرِّ ليلى رددتُهُ ... بعمياء من ليلى بغير يقينِ
يقولون خبّرنا فأنت أمينها ... وما أنا إن خبّرتُهم بأمينِ

بنى البيتين على ما أوقعه فى نفسه وهو قوله ـ وما أنا إن خبرتهم بأمين ـ يتبادر ذهن السامع للبيت الأول وصدر البيت الثانى الى عجزه وفى البيت الاول أيضاً انتهى المعنى عند قوله ـ رددته بعمياء من ليلى ـ وكمله بالقافية بقوله ـ بغير يقين ـ وفيه توكيد لما مضى ويسمى مثل هذا الايغال وهذا من اصطلاح أرباب البديع وقد اختار بعض أهل البيان أن يسمى ذلك الارصاد . ومنه ما حكى أن جريراً أنشد بحضرة الفرزدق وفى عنفقة الفرزدق حينئذ شيب أبياتا جاء منها * لها برَصٌ بجانبِ أُسكتيها *

فوضع الفرزدق يده على عنفقته وقال قبحك الله قبل أن يتلفظ جرير بعجز البيت وهو

* كعَنفقةِ الفرزْدق حين شابا *

وقد جاء فى الكتاب العزيز كثير من ذلك أعنى ما يتبادر الذهن فيه الى خواتم الآى ولا ينبغى أن تسيمه إرصاداً ولا إيغالاوهو مثل قوله تعالى مَثَلُ الذين اتخذوا من دُون اللهِ أولياء كمَثَلِ العنكبوت اتخذتْ بيتاً وإنّ أوْهنَ البيوتِ . يتبادر الذهن الى أن خبر ان لبيت العنكبوت لمن لم يسمعه وليس من القوافى ولافواصل الآى .. ومما يدل عليه فواصل الآى قوله تعالى كأنهم يومَ يرونها لم يلبثوا الاعشيّةً أو ضحاها. يتبادر الذهن الى أن بعد قوله ـ عشية أوضحاها ـ وان لم يكن مسموعا . وكذلك قوله تعالى انّ هذا لفى الصُحُفِ الأولى صُحُفِ ابراهيمَ وموسى . لكون موسى على قافية الفاصلة الأولى.. وثم أشياء من أبواب البديع يمكن ان ترد الى البيان بنوع من التكلف وأنا أذكرها جريا على سنن من سبق من علماء الفن .. فمن ذلك التوشيح وهو أن يبنى الشعر على قافية بوزن قصير ثم يزاد فيه ما يوصله الى قافية أخرى بوزن طويل كقول بعضهم

إسلَمْ ودُمتَ علَى الحوادثِ مارَسَى رُكْنا ثَبير أو هِضابُ حِراء

ونَل المرادَ مُمكَّناً فيه على مرِّ الدُهورِ وفُزْ بطولِ بَقاء

ولو وقف على ثبير والدهور وأطلق القافية لكان أيضاً وزنا من أوزان الشعر صحيحاً وهو أول ضروب العروض الثالثة من الكامل فالبيت مجزوٌّ وعروضه صحيحة وضربه مرفل والمكمل الضرب الثانى من العروض الاولى من الكامل فالبيت واف وعروضه صحيحة وضربه مقطوع وزنه فعلاتن ويجوز فيه الاضمار فيعود الى مفعولن والذى فى هذا من البيان أن الشاعر يأتى بالمعانى مبينة مكملة معها تكلفه من لزوم مالا يلزمه من الوزنين المذكورين .. ومن نوع التوشيح ما استعمله المتأخرون من الاراجيز التى هى بيتان بيتان من مشطور الرجز أو السريع ويجمع كل بيتين منها بيت من وافى الرجز أو السريع وأكثر من عمل ذلك خلط الرجز بالسريع فى القصيدة الواحدة ومنهم من احترز من ذلك بحيث تأتى قصيدته من الرجز فقط أو من السريع فقط .. ومنه الذى يسميه المتأخرون مواليا وهو أول ضروب البسيط التزم فيه أن يكون

بيتين فقط مقفيين وليس فيه من التوشيح الا التزام التقفية ولو زيد فيـه على البيتين لم يكن فى ذلك حرج على من زاد •• ومنه المخمس وهو التزام ثلاثة أنصاف لبيت على وزن صدره ورويه وقافيته فيصير كل بيت بما أضيف اليـه قبله خمس قطع أربع منها لا تختلف قوافيها والقطعة الخامسة مخالفة فى الروى الا أن يكون البيت مصرعاً أو مقفى فتصير الخمسة على قافية واحدة • والابيات المخمسة ان كانت موجودة قبل التخميس فهى متتالية مستقلة بأنفسها وينبغى أن تكون مع ما أضيف اليها متتالية أيضاً فلو وضع مخمس جملة فى وقت واحد لزم أن يكون كل مصراعين من المصاريع الاخيرة يتبعان المصراعين اللذين قبلهما إن كانا حتى لو فصلت المصاريع الاخيرة كانت شعراً مستقلا بنفسه تتوالى أبياته كتوالى الشعر فلو لم يراع فيه ذلك كان توشيحاً ولم يكن تخميساً •• ودو بيت مخرومة وغير مخرومة ومردفة وغير مردفة من ذلك الا أنه ليس من اوزان العرب •• وكذلك موشحات المغاربة وأزجالهم وقرقيات المصريين وبليقاتهم وهذه الانواع قد تكون من أوزان العرب وقد لا تكون وقد يكون بعضها دون بعض والموشح الذى يكون على أوزان العرب يسمى شعرياً وهذه الانواع الاربعة كلها جارية على سنن واحد الا أن الموشح يلتزم فيه أن يكون جاريا على سَنَن اللغة العربيـة إلاّ خرْجته وهى آخر قفل فيه فانهـا تكون زجلية غالباً •• والزجل لا يلتزم فيه لغة عربية ولا اعراب بل هو على اللغة العامية من لغات أهل المغرب على اختلاف أصنافهم والموشح مركب من أقفال وحشوات •• والاقفال جميعها متساوية الاوزان والقوافى لا يخالف بعضها بعضاً •• وقد جرت العادة غالباً أن يبنى الموشح على ستة أقفال يبتدأ فيه بقفل ثم يؤتى بعده بحشوة تشتمل على فواصل وربما سميت أبياتا تجوزاً كل واحد منها يشتمل على وزن أو وزنين أو أوزان وقافية أوقافيتين أو قواف بحيث لايخالف بيت بيتاً فى وزن ولافى قافية وقد تختلف قوافى البيت الواحد وأوزانه وقد لا تختلف الا أنه يلتزم فى الأبيات كلها مساواة البيت الأول فى قوافيه وأوزانه ثم يؤتى بقفل ثان على وزن القفل الاول وقافيته اتحدت أوزانه وقوافيه أو تعددت ثم يؤتى بحشوة ثانية على أوزان الحشوة الأولى وعددها لـكن لا يلتزم قوافيها بل يخالف بينها حتى

لو جاء حشوتان على قواف واحدة لاستبشع ذلك وهذا حكم جميع الاقفال بعضها مع بعض والحشوات بعضها مع بعض .. وقد يبنى الموشح على أن يبتدأ فيه بالحشوة فيكون خمس حشوات وخمسة أقفال ويسمى الاقرع .. والزجل لاتنقص أقفاله وحشواته عن عدد أقفال الموشح وحشواته فتجيء مساوية وتزيد .. وقد يكرر القفل الاول أو بعضه فى الزجل بين كل حشوتين . فالمكرر ان كان بعض القفل لا يكون الا آخر القفل الذى بين الحشوتين ويسمى المكرر حينئذ مردداً .. وأما القرقية والبليقة والفرق بينهما وبين الزجل أن الزجل متى جاء فيه الكلام المعرب كان معيباً والبليقة ليست كذلك فيجئ فيها المعرب وغير المعرب ولذلك سميت بليقة من البلق وهو اختلاف الألوان .. وتفارق البليقة القرقية فى أن البليقة لا تزيد على خمس حشوات غالباً وقد تنتهى الى السبعة قليلا وليست القرقية كذلك فانها تزيد كثيراً على حكم الزجل فى ذلك وسميت القرقية قرقية من القرقة وهى لعبة يلعب بها صبيان الاعراب .. ومن ذلك السرقة وهى تنقسم الى النسخ والسلخ والمسخ . فالنسخ أخذ كلام من تقدم سواء علم الآخذ أو لم يعلم فمن علم كان ملوماً على سرقته ومن لم يعلم فهو معذور وليس بسارق وقد سمى ذلك وقوع الحافر على الحافر وليس فى هذين النوعين شئ من البيان غير أن الاول يدل على مهانة نفس فاعله وقلة همته فهو من العيوب فينبغى اجتنابه والمعذور وغير المعذور مما اتفق له ذلك يظن غالباً ولا يعلم الا نادراً فمن عرف من حاله سلامة الباطن وشرف النفس كالعرب فينبغى أن يظن به خير كطرفة بن العبد مع امرئ القيس ابن حجر فى قوله

وقوفا بها صَحبي عليَّ مطيَّهُمْ يقولون لاتهلكْ أسىً وتجلدِ

لم يخالف امرأ القيس الا فى – تجلد – فى موضع – تجمل – ولو كانت القافيـة لامية لم يخالفه فيما يظن .. وأما من علم أنه أخذ وهو يعلم كالفرزدق حين سمع قول جرير

ترى الناس ما سِرنا يسيرونَ خلفنا وإن نحنُ أومأنا الى الناسِ وقّفوا

فقال متى كان الملك فى عُذرَة انما هو فى مضر وأنا شاعرها فغلب عليه الفرزدق ولم يسقطه جرير من شعره وقد سمى هذا إغارة وكالفرزدق أيضاً حين سمع الشمردل

ينشد فى محفل

فما بينَ مَن لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزِّ الغلاصمِ

فقال له لتدعنه أو لتدعن عرضك فقال له الشمردل خذه لا بارك الله لك فيه وسمى هذا النوع غصباً لأن الشمردل تركه وجرير لم يترك بيته وفعل الفرزدق كهذه الفعلة مع ذى الرمة فى أبيات سمعها منه فقال له اياك واياها لا تعودن اليها فأنا أحقّ بها منك فقال ذو الرمة والله لاأعود فيها ولا أنشدها الا لك وهذا مما يعاب به الفرزدق وليس من البيان فى شئ هذا فى شعر الأحياء •• أما من أخذ من ميت فيسمى فعله الإصطراف فان صرفه على جهة المثل فيسمى اجتلابا واستلحاقا وهو التضمين الذى لم ينبه عليه ولم يك مشهوراً لقائله وان ادعاه لنفسه فهو انتحال ولا يقال منتحل الا لمن هو أهل لمثل ما انتحل والا فيسمى مدعيا •• وأما السالخ وهو ان يسبك المؤلف المعنى فى لفظ يساوى لفظ من تقدمه أو يكون أجود منه فان كان أجود منه فهو أحق به وان كان مثله فلا بأس وهو أدنى درجات السالخ وهذا من باب البيان والقدرة على التأليف ويدخل فيه حل المنظوم ونظم المنثور •• فمنه النظر والملاحظة وهو تساوى المعنيين واختلاف اللفظ كقول زهير

يَطعَنهُمْ ما أرتموا حتى اذا اطَّعنوا ... ضاربَ حتى اذا ماضاربوا اعتنَقا

• وقول عنترة

إنْ يُلحِقوا أكرُرْ وإنْ يستلحموا أشدُدْ ... وانْ يُلفوا بضنكٍ أنزلِ

ومنه الالمام وهو أخذ المعنى من ضده كقول المتنبى

أأحبُّهُ وأحب فيه ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيهِ منْ أعدائهِ

أخذه من قول أبى الشيص

أجِدُ الملامةَ فى هواكَ لذيذةً ... حُباً لذكركِ فليَلُمنى اللوّمُ

•• ومنه التغاير وهو أخذ المعنى من ضده أيضاً ويخالف الالمام بأنه لم يستعمل فيه شئ من ألفاظ المعنى المأخوذ منه وهو كقول حبيب بن أوس

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ علمٍ ... تقدَّمْ حين جدَّ بهِ المراسُ

فمالى ان أطعمتك من حياة ومالى غير هذا الرأس راس

وقول عمران

لقد زاد الحياة الى بغضا وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
فمن يك همه الدنيا فانى لها والله رب البيت قالى

فالمغايرة بين شعر حبيب وشعر عمران تمت بالبيت الأول من شعر عمران والثانى والثالث زيادة مؤكدة للمعنى وكقول أمرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وقال فى موطن آخر

اذا مالم يكن إبل فمعزى كأن قرون جلتها عصى
اذا ما قام حالبها أرنت كأن القوم صبحهم نعى
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى

فشدد أولا ولم يقنع وسهل ثانيا وقنع .. ومنه العكس وهو أن تعكس الالفاظ والمعنى كقول أبى قيس وقيل أبى حفص البصرى فى الهجو

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

أخذه من قول حسان فى المدح

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

هذا وان أجاد فى أخذه بطريق العكس فقد أحال فى قوله لئيمة أحسابهم فان الحسب كرم الآباء وشرفهم فيستحيل ان تكون لئيمة لأنه يؤدى الى التناقض .. وفى قوله ـ الطراز الآخر ـ لم يهج فان الطراز مانسج من الثياب للسلطان فلا ينقص فيه الآخر عن الأول .. ومنه الاختلاس وهو أن ينقل المعنى من نوع الى نوع كنقله من نسيب الى هجاء أو مدح أو غير ذلك لاالى ضده كقول كثير فى النسيب

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

اختلسه أبو نواس فقال فى المدح

مَلِكٌ تصوَّرَ فى القلوب مثالُهُ　　فكأنه لم يَخْلُ منه مكانُ

وأما المسخ فهو أن يقصر فيه الثانى عن الأول وهو عيب ان علم ونقص فى الطبقة إن لم يعلم وليس من البيان فى شئ٠٠ والناقص فى الطبقة قد يكون متقدماً وقد يكون معاصراً وقد يكون متأخراً ومن ذلك ماجرت العادة أن يسأل عنه ويبحث فيه كبيتى حاتم وبيتى عنترة فى الكرم قال حاتم

وإذا سَكِرْتُ وَهَبْتُ ماملكتْ يدى　　من غيرِ إشفاقٍ ولا إملاقِ

وإذا صَحَوْتُ وعاودتنى هِمَّتى　　أصبحتُ ندمانا لتركِ الباقى

وقال عنترة

وإذا سكرتُ فاننى مُسْتَهلِكٌ　　مالى وعِرْضى وافِرٌ لم يُكْلَمِ

وإذا صحوتُ فماأُقصِّرُ عن ندىً　　وكما علمتِ شمائلى وتكرمى

يقال إن حاتما قال ـ وهبت ـ وعنترة قال ـ استهلكت ـ والاستهلاك قد يكون فيما لايشكر الانسان عليه وقال حاتم فى البيت الثانى ـ أصبحت ندمانا لترك الباقى ـ وقال عنترة ـ ماأقصر عن ندى ـ ولم يذكر أنه ندم فشعر حاتم أبلغ فى الكرم ويقال فى قبالة ذلك أن عنترة لم يقتصر على قوله ـ مستهلك مالى ـ بل اتبعه بقوله ـ وعرضى وافر لم يكلم ـ فنفى بذلك استهلاك المال فيما لم يشكر عليه مع نفى كل مايقدح فى العرض فبيت عنترة حينئذ أبلغ وأما البيت الثانى فقول عنترة ـ ماأقصر عن ندى ـ فيقتضى أنه لايترك امامه غاية لايصل اليها ولاينقص عن فعلة يمكن فعلها ولم يصرح بابقاء شىء فى حالة السكر وحاتم صرح بذلك بل وناقض فانه قال ـ ماملكت يدى ـ وذكر باقياً فبيتا عنترة أبلغ من بيتى حاتم وأحكم٠٠ ومن ذلك السجع وعدمه بحسب مواضعه ومن عاب السجع مطلقاً فمخطئ لان السجع فى كتاب الله كثير وفى كلام النبى صلى الله عليه وسلم والفصحاء كقُسٍ وسَحْبان وانما يعاب السجع اذا احتاج متكلفه الى تنقيص المعنى أو زيادته وفعل ذلك فالذى فاته من المعنى يقبح وترك السجع لايقبح فيكون حينئذ السجع قبيحاً لاستلزام القبح وبهذا يجاب عن قول النبى صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان فانه لو عاب السجع مطلقاً لما نطق به ولا يمكنه أن

يعيبه مطلقاً لمجيئه فى كتاب الله تعالى كثيراً فالمعيب هو سجع مخصوص وهو الذى مثله بسجع الكهان وهو الذى ينقص المعنى أو يزيده ٠٠ والسجع فى الكلام المنثور أن تجعل مقاطعه وفواصله على روى واحد وقافية واحدة كضروب الشعر ملتزما فيه ما التزم فيها وليؤخذ ذلك من علم القوافى وأجود السجع ما تساوت فصوله ثم الذى يزيد الفصل عما قبله زيادة لا تبلغ حد التنافر بين الفصلين فى الطول والقصر فأما ما نقص فيه الفصل عما قبله فقد قيل انه قبيح وليس يقبح مطلقاً بل اذا حصل التنافر فلا فرق بين أن يزيد الثانى عن الاول أو ينقص اذا لم يحصل التنافر وقد جاء جميع ذلك فى القرآن العزيز وأمثلته كلها فى سورة الضحى ٠٠ والتقفية والتصريع والتوشيح فى الشعر من هذا الباب والتقفية والتصريع كثر استعمالها فى أول بيت فى القصيدة جداً ولو لم يكن ذلك حسناً لما استكثر منه العرب وربما كرره العرب فى القصيدة ولم يكثر ذلك وقلما يكثر التكرار لشاعر فى القصيدة الواحدة فيقبح ان كثر التكرار فى القصيدة الواحدة ٠ والفرق بين التصريع والتقفية أن التصريع رد العروض على وزن الضرب ورويه بزيادة أو نقص والتقفية لا يرد فيها العروض على وزن الضرب لانه قد يكون وزناهما واحداً فلا يفتقر الى رد وهذا اصطلاح الخليل ومن تابعه فى علم العروض ٠ وأما ما عرف العرب فاطلاق التصريع على النوعين مثال التصريع قول امرئ القيس

قفا نبكِ مِن ذكرى حبيبٍ وعرفان ورسمٍ عفتْ آياتهُ مُنذ أزمانِ

عروض هذه القصيدة مفاعلن مقبوضة وضربها مفاعيلن صحيحا سالما فقد ردت العروض الى وزن الضرب بزيادة وقوله أيضاً

لِمنْ طَللٌ أبصرتهُ فشجانى كخطِّ زبورٍ فى عَسيب يمانى

عروض هذه القصيدة أيضاً مفاعلن ردت الى وزن الضرب وهو فعولن محذوفا فقد ردت اليه بنقص ٠٠ وأما التقفية فمثالها قوله أيضاً

قِفا نبْكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللوى بين الدَّخولِ فحوْملِ

عروض هذه القصيدة وضربها مفاعلن مقبوضين فلم يحتج فى ذلك الى زيادة ولا نقص ٠٠ ومن ذلك التجنيس وهو من أقسام البديع ويتعلق بتحسين الالفاظ واذا تكلفه المتكلم

غير مخل بالبيان اجتمع الحسن والبيان وهو أشرف من البيان ولا حسن وان أخل متكلفه بالبيان كان البيان أشرف منه هذا وجه تعلقه بالبيان وهو أعنى التجنيس أن يأتى المتكلم فى كلامه بحرف أو حرفين ثم يأتى بهما ثانياً فى أثناء ذلك الكلام من غير أن يكون بينهما بعد بحيث ينصرف فيه الذهن عن الأول ولعل ذلك أن يكونا مجتمعين فى بيت من الشعر ونحوه من الكلام ولا بد أن يكون المتجانسان مختلفى المعنى وكل واحد من المتجانسين إما أن يكون كلمة أو أكثر من كلمة أو بعض كلمة فيرجع هذا الى ستة أقسام كلمة وكلمة . كلمة وأكثر من كلمة . كلمة وبعض كلمة . أكثر من كلمة وأكثر من كلمة . أكثر من كلمة وبعض كلمة . بعض كلمة وبعض كلمة . وكل واحد من هذه الأقسام الستة إما ان يستويا بالنسبة الى الحركات والسكنات أو لا يستويا وكل واحد من هذين القسمين إما ان يستويا فيه أعنى المتجانسين أو لا يستويا فينقسم كل قسم من الستة الى أربعة أقسام فتنتهى الأقسام الى أربعة وعشرين قسما . الأول ان يكون التجنيس فى كلمتين متساويتى ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها كقولك يحيي يحيي . والثانى فى كلمتين متساويتى ترتيب الحروف لا حركاتها وسكناتها كقولك على يوسُف يوسَف . والثالث فى كلمتين متساويتين فى الحرف والوزن لا الترتيب كقولك زيد قائم مائق . والرابع فى كلمتين متساويتين فى الحرف لا الوزن والترتيب كقولك زيد كريم يمكر . والخامس أكثر من كلمة مع كلمة متفقة فى الحروف والوزن والترتيب كقولك روتى أباريقك إذ أبى ريقك . والسادس أكثر من كلمة مع كلمة متفقة فى الحروف والترتيب لا الوزن كقولك يامالك مالك . والسابع أكثر من كلمة مع كلمة متفقة فى الحروف والوزن لا الترتيب كقولك مالى لائم . والثامن أكثر من كلمة مع كلمة متفقة فى الحروف لا الوزن والترتيب كقول سليمان ماينسل . والتاسع كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والوزن والترتيب كقولك زيد قد عاقد . والعاشر كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والترتيب لا الوزن كقولك جديا ما جد . والحادى عشر كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والوزن لا الترتيب كقولك أنتصف من غانم . والثانى عشر كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف لا الوزن والترتيب كقولك دس الحاسد . والثالث عشر أكثر من كلمة مع أكثر من كلمة متفقة فى الحروف والوزن والترتيب كقولك ما أنصفك

وزيد ما أنصفك . والرابع عشر أ كثر من كلمة مع أ كثر من كلمة متفقة فى الحروف والترتيب لا الوزن كقولك من أسرى بك من أسرابك . الخامس عشر أ كثر من كلمة مع أ كثر من كلمة متفقـة فى الحروف والوزن لا الترتيب كقولك مادهاك ماهداك . والسادس عشر أ كثر من كلمة مع أ كثر من كلمة متفقة فى الحروف لا الوزن والترتيب كقولك من دعاك من عداك . والسابع عشر أ كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة فى الحروف والوزن والترتيب كقولك ع ماقلت منعها . والثامن عشر أ كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة فى الحروف والترتيب لا الوزن كقولك عم عمران . والتاسع عشر أ كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة فى الحروف والوزن لا الترتيب كقولك ادحض السوءات أو كن كانونا .. والعشرون أ كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة فى الحروف لا الوزن والترتيب كقولك سر من سرمين . والحادى والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والوزن والترتيب كقولك فلان شيطان ليطان .. والثانى والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والترتيب لا الوزن كقولك ساءنى حمام حمزة .. والثالث والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف والوزن لا الترتيب كقولك عمرون معروف .. والرابع والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساويا الحروف لا الوزن والترتيب كقولك قيصر يقصد

وتجنيس التصحيف هو الذى يدركه الـكاتب بالبديهة من غير فـكر كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. والتصحيف نوعان مستقيم ومعكوس فالمستقيم مثل عبير وعنبر والمعكوس مثل مشمش وسمسم وليس من شرط التصحيف استيعاب جميع الحروف وقد يستوعب مثل غيث وعنب وغرب ونزع ومن الحروف مالا يصحف اذ لا مثل له وهى الألف والميم والواو والهاء .. ومن المصحف حروف تختلف صورها بالنسبة الى إفرادها واتصالها بغيرها وبكونها فى أول الـكلمة ووسطها وآخرها والسين والشين كل واحد منهما يتصحف بثلاثة أحرف من خمسة أحرف هى الباء والتاء والثاء والنون والياء . والـكاف واللام فى الحقيقة ليسا بمثلين وقد جرت العادة أن يجريا فى التصحيف مجرى المثلين وأحسن التصحيف من ذلك مالا تختلف فيه الصور كقوله

تعالى ننشرها وننشزها وهو الذى عددناه تجنيسا. وقد قسم أهل البيان والبديع التجنيس الى أقسام لاتستوعب. الأول المطلق وهوما استوى لفظه تركيبا ووزنا كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ومنه قول الشاعر

ومرى سوابقَ دمعِها فتواكفت ساقٍ يجاوبُ فوقَ ساقٍ ساقا

وقول أبى اسحاق ابراهيم بن عثمان المغربى

لم يبقَ غيرُك انسانٌ يلاذُ به فلا برحتَ لعينِ الدهرِ إنسانا

وقول بعضهم

قلتُ للقلبِ مادهاكَ أجبنى قالَ لى بائعُ الفراءِ فرانى

الثانى وهو أن تكون الالفاظ متساوية التركيب مختلفة الوزن ومنه قول بعض الكتاب فى صفة كتاب وصل اليه فللزُّهر والزَّهر من نُور بداعته ونوْر براعته اشراق

وقول ابن العميد

قد ذبتُ بينَ حُشاشةٍ ودماء مابينَ حرِّ هوًى وحرِّ هَوَاء

الثالث وهو أن تكون الالفاظ متساوية فى الوزن مختلفة فى التركيب بحرف واحد لاغير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وهذ التحجر لامعنى له اذالمستحسن فى الطبع الاشتراك لاالاختلاف وفى قوله تعالى فأدلى دلوه مايرد على زاعم ذلك فانه أحسن من أدلى ذنوبه وألقى دلوه فمن ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربهاناظرة وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيدوانه لحب الخير لشديد ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخيرالى يوم القيامة .. وقول أبى تمام

يمدُّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تَصُولُ بأسيافٍ قَواضٍ قَواضبِ

وقول البحترى

من كل ساجى الطَّرفِ أغيدَ أجيدٍ ومُهفهَفِ الكشحَينِ أحوى أحورِ

وقول بعضهم لا تنال المكارم الابالمكاره .. الرابع وهوان تكون الالفاظ مختلفة فى التركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الي ربك يومئذ المساق

وقول البحترى

نسيمُ الروضِ فى ريحٍ شمالٍ　　وصَوبُ المزنِ فى راحٍ شمُولِ

وقول بعضهم

فوفرُهُ بينَ أيدى العُرفِ منتهبٌ　　وعِرْضُهُ عن لِسانِ الذمِّ موفُور

الخامس وهو المعكوس وهو ضربان أحدهما عكس الألفاظ والآخر عكس الحروف فالأول كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول الآخر شيم الأحرار أحرار الشيم وقيل للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير .. ومن هذا القسم قول عتاب بن ورقاء

انَّ الليالى للأنامِ مناهلٌ　　تطوى وتنشرُ بينها الأعمارُ

فقصارُهنَّ معَ الهمومِ طويلةٌ　　وطوالُهُنَّ معَ السرورِ قِصارُ

وقال آخر

كم مِنْ حِمارٍ عَلى جَوَادٍ　　ومن جَوَادٍ على حِمارِ

وقدامة بن جعفر سمى هذا التبديل.. ومثله بقول بعضهم أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك . ومنه قوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى .. والثانى من هذا القسم عكس الحروف كقول بعضهم

أهديتُ شيأً يَقِلُّ لولا　　أُحدوثة الفأل والتبرُّك

كرسى تفاءلتُ فيهِ لما　　رأيتُ مقلوبَهُ يسرُّك

وقول الآخر

كيفَ السرورُ باقبالٍ وآخرُه　　اذا تأملتَه مقلوبُ إقبالِ

السادس وهو المجنب وذلك ان يجمع المؤلف بين كلمتين احداهما كالتبع الأخرى والجنيبة لها كقول بعضهم

أبا العباسِ لاتحسِبْ بأنى　　لسنىَ من حُلى الأشعارِ عارى

فلى طَبعٌ كسلسالٍ معينٍ　　زُلالٍ من ذُرَى الأحجارِ جارى

السابع وهو ما تساوى وزنه وتركيبه غير ان حروفه تتقدم وتتأخر وذلك

كقول أبي تمام

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف فى　　متونهن جلاء الشكِ والرِّيب

ومن المختلف الترتيب نوع حسن ينعكس كنفسه ولا يتغير معناه كقوله تعالى كل فى فلك ومنه رب برّ • ولا يكاد يزاد فى هذا الباب على ما أتى به الحريرى فى مقاماته •• ومن ذلك الترصيع وهو نوعان أحدهما ان تكون أجزاء الفصل الأول مساوية لأجزاء الفصل الثانى وزنا ورويا . . والنوع الثانى ان تكون مساوية لأجزاء الفصل الثانى وزنا لارويا •• مثال الأول قول الخطيب عبد الرحيم بن نباتة •• الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره • وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره • وموفق عبيده لمغانم ذكره • ومحقق مواعيده بلوازم شكره • ومن ذلك قوله أيضاً • أولئك الذين أفلوا فنجمتم ورحلوا فأقمتم • ومنه نظماً قول ذى الرمة

كَحلاء فى بَرَجٍ نجلاء فى دَعَجٍ　　كأنها فضةٌ قد شابها ذهبُ

مثال الثانى قول تأبط شراً

حمّالُ ألويةٍ شهّادُ أنديةٍ　　قوّالُ مُحكمةٍ جوّاب آفاق

وقول الخنساء

حامى الحقيقةِ محمودُ الخليقةِ مهـ　　ـدىُّ الطريقةِ نفّاعٌ وضرّارُ

وقول الآخر

سُودٌ ذوائبُها بيضٌ ترائبها　　محضٌ ضرائبها صِيغت من الكرمِ

وليس فى هذا من البيان الا أنه يستميل السامع بحسنه الى فهم معناه •• ومن ذلك لزوم مالا يلزم وهو أن يلتزم الناظم أو الناثر من الحروف حرفا أو أكثر قبل الروى ومع ما قبله من الحروف اللازمة كالتأسيس والردف اذا كان ألفاً واذا لم يكن الردف ألفاً تعاقب فيه الواو والياء فلو التزم أحدهما لكان أيضاً من لزوم مالا يلزم •• والحرف الملتزم الاكمل أن تلتزم معه حركته ولو لم يخرج الحرف عن كونه ملتزما والحرف الملتزم قبل الردف لو تعاقبت بعده الواو والياء لزم أن تختلف حركته ولا يخرج عن كونه لزوم مالا يلزم ولم يشق أحد للشيخ أبي العلاء المعرى غباراً فى لزوم مالا يلزم

ولم يعمل أحد فيه شيئاً له الى عمله نسبة تعتبر ومع اكثاره من ذلك فكل ماعمله جيد وأجود ومن زعم أن فيه رديا فبجهله وسوء فهمه ولا يقال إنه أتى فيه بالحوشي من الكلام مع التزام مالا يلزم وتركهما أحسن من الاتيان بهما لأن مصنفاته كلها مبنية على أن يكثر فيها من نقل اللغة حوشيها ومألوفها ومع ذلك لا يكاد يكون له بيت كثر حوشيه حتى انه لايفهم بل يستعمله بين المألوف ولا يعاب الحوشي اذا كان كذلك انما يعاب منه ما كثر فى بيت فمنع من فهم معناه أكثر سامعيه من أهل الادب وليس فى لزوميات الشيخ أبى العلاء مايخاطب به ممدوحا ولا مهجوا ولا امرأة ولا معشوقا فيخاف من سوء فهمه وانما خطابه لحكماء الناس وأئمة الادب ومن تبحر فى معرفة كلام العرب فما التزم فيه حرفاً واحداً قوله

اذا داعٍ دعاكَ لرشدِ امرٍ   فلبِّ ولا يفتْك له اتباعُ
تغيرَ ملكُ حِميرَ ثم كسرى   ولم تقبلْ تغيرَها الطباعُ
وجدتُ الناسَ فى جبلٍ وسهلٍ   كانهم الذئابُ أو السباعُ
رجالٌ مثلما اهترشتْ كلابٌ   ونسوانٌ كما اغتلمُ الضباعُ
أزالَ اللهُ خيراً عن أميرٍ   له ولدٌ على عِلمٍ يُباعُ
جوارٍ كالنياقِ يُسقَنَ عنه   وفى احشائهن له رِباعُ

ومما التزم فيه حرفين قوله

تجنبْ حانةَ الصهباء واهجرْ أبداً حانَكْ   ولا ترسل على اللذةِ فى الغفلةِ سِرحانَكْ
ولا ترفعْ لغيرِ الله فى الحندسِ ألحانَكْ   ويادهرُ لحاكَ اللهُ ماهنأتَ فرحانَكْ
ولا تلبثْ ان تُضحكَ بالنسيانِ ترحانَكْ   وما أخليتَ من سُقمٍ يقضِ الجسمَ قرحانَكْ
فقل روحكَ مولانا لراجيكَ وريحانَكْ   فقد أجريتَ جِيحانَكَ فى الأرض وسيحانَكْ
وقد أرسلتَ شِيبانَكَ بالرزق ومُلحانَكْ   فسبُحانك والعاجزُ من يتركُ سُبحانَكْ

ومما التزم فيه ثلاثة أحرف قوله

يا آكلَ التفاحِ لا تبعدَنْ   ولا يقمْ يومُ ردى ثاكلك
قال النُّصيريُّ وما قلته   فاسمعْ وشجعْ فى الوغى ناكلك

قد كنتَ فى دَهرِك تفاحةً   وكان تفاحُك ذا آكلك
وحرفَ هاجٍ لُحت فيما مَضى   وظلَّ ما تشكلُهُ شاكِلك

وربما قيل ان الكاف الأخيرة وصل والروى اللام فتكون الالف تأسيساً فلا يكون الملتزم الاحرفا واحدا وهو الكاف الأولى وهذا مما ليس عليه أرباب علم القوافى اذ لم يعدوا فى حروف الوصل كافا فيجوز حينئذ تشكلك مع ثاكلك واستعمال لزوم ما لا يلزم فى النظم والنثر سواء ودخوله فى البيان كدخول ما قبله من ملح البديع .. ومن ذلك الموازنة وهى ان تكون الكلمة التى هى خاتمة الفاصلة الأولى على زنة الكلمة التى هى خاتمة الفاصلة الثانية كانت على رويها أو لم تكن ومثال ذلك قوله تعالى . والعاديات ضبحا فالموريات قدحا . ثم قال تعالى فى السورة فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا . ثم قال تعالى فى السورة وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ومنه قوله تعالى . والصافات صفا فالزاجرات زجراً ومنه قول الشاعر

طافَ يبغى نجوةً   من هلاكٍ فهلكْ
ليتَ شِعرى ضلةً   أىُّ شىء قتلك
أمريضٌ لم تعدْ   أم عدوٌّ ختلك
إن أمراً فادِحاً   عن جَوابى شغلك

هذه الموازنة البنائية ويليها فى الحسن الموازنة العروضية ومثالها الآيات الخمس المتوالية من أول المرسلات . والموازنة فى كتاب الله وفى الكلام المنظوم والمنثور كثيرة جداً وحظها من البيان دون حظ الترصيع ونسبتها الى الترصيع كنسبة البسيط الى المركب ..ومن ذلك اختلاف صيغ الكلام لئلا يتكرر فيثقل وتمجه الأسماع . واذا تكرر واختلف المعنى وكان فى الكلام دليل على معنى كل واحد من المتكررين فهو التجنيس المذكور قبل وهو مما يستحسن ولا يجتنب فان لم يكن فى الكلام ما ينبى بتبيين المعنيين والحاق كل واحد منهما بلفظه فذلك مما ينبغى ان يجتنب ولا يؤتى لكونه مخلا بالبيان فاجتناب هذا النوع من قواعد علم البيان واجتناب الأول من باب البديع

الذى هومن محاسن الألفاظ . مثال الأول قول ابراهيم بن سيار للفضل بن الربيع

هبنى أسأتُ وما أسأتُ وما أسأ　　تُ أقرُّ كىْ يزداد طولُكَ طولا

ومثال الثانى وهو مبين فى الكلام قول الشاعر

لعمرى لقدْ حبَّبت كلَّ قصيرةٍ　　إلىَّ وان لم تدرِ ذاكَ القصائرُ

عَنيتُ قصيرات الحجالِ ولم أرد　　قُصارَ الخطا شر النساء البحاترُ

فلو اقتصر على البيت الأول لكان معيبا لاحتماله القصر والقصر .. والقبيح قول كشاجم فى المديح

عَمْرتهُ بفتيةٍ صِباحِ　　سُمحٍ باعراضهم شحاحِ

لان الباء فى قوله باعراضهم يجوز أن تتعلق بسمح فيكون هجوا ويجوز أن تتعلق بشحاح فيكون مدحا فهو ملبس بين المدح والهجو وليس فى البيت ما يعين أحدهما وهذان المعنيان معلومان مما تقدم فى الكتاب ولو لم يذكر الاستغنى عنهما أكثر الناس ولم يكن بتركهما من باس

ومن ذلك تكرار الحروف مع القدرة على ترك تكريرها فانه مما يقبح فى الكلام ويثقل على المتكلم ولذلك عمد العرب الى ادغام أحد المثلين فى الآخر فى مثل قولهم يجمل لك وشد ومد . والى ابدال أحد المثلين ياء فى قولهم أمليت فى أمللت والى حذف احدى التائين من الفعل المضارع الذى أجتمعتا فى أوله فى مثل قوله . ولا تنازعوا فتفشلوا . ومما استكره لتكرر حروفه قول الأعشى

وقد غدوتُ الى الحانوتِ يتبعنى　　شاوٍ مُشلٌّ شَلولٌ شَلشلٌ شوِلُ

﴿ قال مصححه محمد بدر الدين عفا الله عنه ﴾

تم الكتاب ولله الحمد أولا وآخراً وفى آخر الأصل المنقول عنه مانصه

قرأ على كتاب الاقصى القريب فى علم البيان هذا فى هذه النسخة الفقيه الامام العالم الفاضل الكامل البارع المتقن المحقق عز الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الامام العالم

البارع الأوحد الأمجد كمال الدين أبى العباس أحمد ابن الفقيه الامام العالم الفاضل الكامل البارع الاجل الجليل جمال الدين أبى اسحاق ابراهيم عرف بابن الاميوطى ادام الله رفعته من أوله الى آخره قراءة بحث عن دقائقه ومعانيه واتقان لترتيبه ومبانيه كاشفا عن غوامضه واسراره وأجزت له اقراءه وروايته عنى كيف شاء ولمن شاء ومتى شاء على الشريطة المعتبرة فى مثله شرعا وانا محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التنوخى مؤلف الكتاب المذكور وكتب عنه باذنه وحضوره أخوه لأبيه عبد المجيد فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الاول من سنة ٦٩٢ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحية


Princeton University Library
32101 080194309